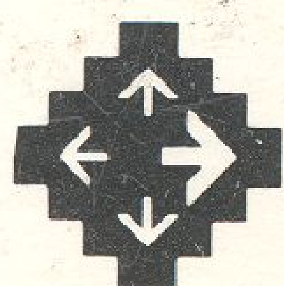
قطوف من أزهار حقول الأسبرين



كتاب الفنان



أحمد مرسي

أحمد مرسي

– ولد أحمد مرسي في الأسكندرية ١٩٣٠ .

– تخرج من كلية الآداب، جامعة الأسكندرية .

– شاعر ورسام وناقد ومترجم .

– اشتغل بالصحافة وكتب مقالات عديدة في النقد التشكيلي والأدب، في كثير من المجلات والصحف العربية، وأرسى قواعد وتقاليد النقد التشكيلي في العراق عامي ١٩٥٦ و١٩٧٥ .

– أول فنان مصري يرتاد حقل الديكور المسرحي الذي كان حكراً على الأجانب، صمم الديكور المسرحي والملابس لمسرحيات سقوط فرعون – ثورة الموتى – المومس الفاضلة – جميلة بوحريد التي عُرضت على للمسرح القومي .

– أعد بتكليف من دار النشر «لاروس» الفرنسية دراستين تاريخيتين عن الفن التشكيلي في مصر والعراق لنشرهما في مجلة «ألفا» ثم في «دائرة معارف لاروس» .

– يقيم في نيويورك من عام ١٩٧٤م ويتردد على القاهرة والأسكندرية كل عام دون انقطاع .

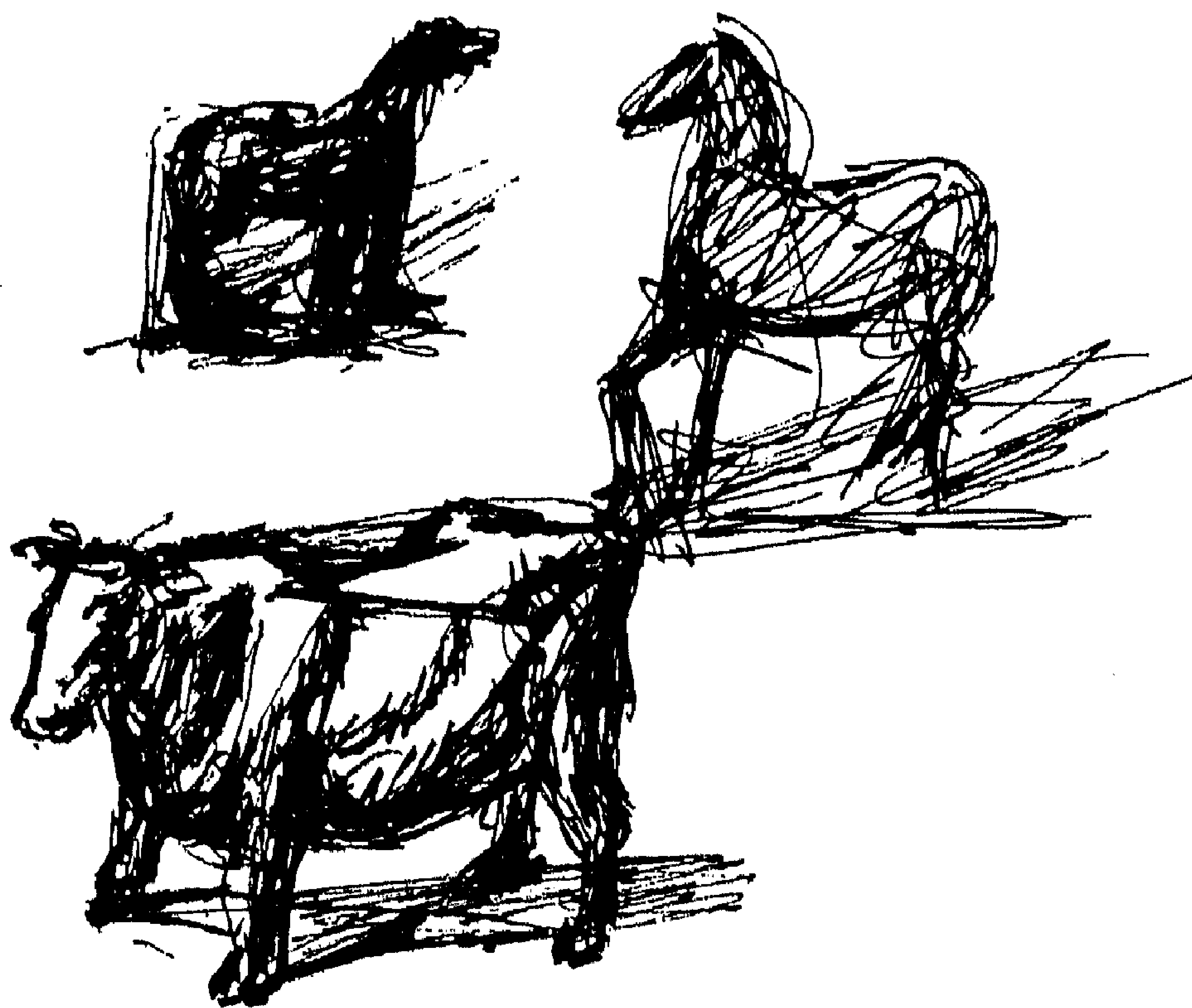
شارك في المعارض الجماعية التالية :

- ☐ جمعية «الأليانس فرانسيز» الأسكندرية ١٩٥٤
- ☐ بينالي الأسكندرية الأول ١٩٥٤
- ☐ متحف الفنون الجميلة – الأسكندرية ١٩٥٥
- ☐ بينالي الأسكندرية الثاني ١٩٥٦
- ☐ بينالي الأسكندرية الثالث ١٩٥٨
- ☐ معرض الواسطى، بغدا د ١٩٧١

– أقام المعارض الفردية التالية :

- ☐ الأتيليه، القاهرة ١٩٥٨
- ☐ متحف الفنون الجميلة – الأسكندرية ١٩٥٨
- ☐ الأتيليه، القاهرة ١٩٥٩
- ☐ متحف الفنون الجميلة – الأسكندرية ١٩٦٠
- ☐ الأتيليه، القاهرة ١٩٦٩

Conc. for Piano
no 3 C Minor
Beethoven

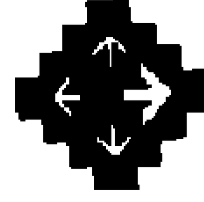


قطوف من أزهار حقول الأسبرين

قطوف من أزهار حقول الأسبرين

أحمد مرسي

الطبعة الأولى ١٩٩٧



دار شرقيات للنشر والتوزيع

٥ ش محمد صدقي، هدى شعراوي

الرقم البريدي ١١١١١

ص. ب: ٢٦٩١٩٨ ت: ٣٩٠٢٩١٣

باب اللوق، القاهرة

«الأعمال الفنية الداخلية لوحات حفر للفنان أحمد مرسي»

«ورسومات قصيدة «ماتت تحت ضوء القمر» للفنان عبد الهادي الجزار؛

وهي جزء من مشروع مشترك لم يكتمل بين

أحمد مرسي والجزار، بدأ في ١٩٥٤».

رقم الايداع ١٩٩٦/١١١٤٤

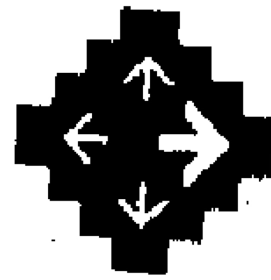
الترقيم الدولي ISBN 977 - 283 - 030 - 2

قطوف من أزهار حقول الأسبرين

١٩٤٨ - ١٩٦٨



أحمد مرسي



دار شرقيات للنشر والتوزيع

أنثولوجيا

إلى إبنتي شيرين ومها
وإلى زوجتي أماني فهمي

أحمد مرسي شاعر مدرسة الأسكندرية

إدوار الخرّاط

من الظواهر التي لم يولها التاريخ الأدبيّ عندنا كبير اهتمام، ما قد أسمّيه «مدرسة الأسكندرية في الأربعينيات».

كنّا عندئذ – على امتداد حقبة وجيزة من الزمن – جماعة تحدوها طموحات وأحلام جامحة أحياناً ومحكومة حيناً. كنّا من أبناء جيل واحد، فلعلّ أكبرنا سناً قد ولد في مطالع العشرينيات وأحدثنا عمراً في أوائل الثلاثينيات. كان منّا من اشتغل بالفلسفة وعلم النفس، مثل مصطفى صفوان، وسامي على، وحبيب الشاروني، وعبد السلام القفّاش، وفتح الله خليف. ومن عمل في ساحة الأدب الانجليزي والنقد العربي وضرب بسهم في تجديد الشعر وغيّر من خريطة الاستشراق في انجلترا وحوّله بالفعل من دراسة للآثار والمتحفّيات اللغوية إلى معرفة بالأدب الحيّ المعاصر مثل محمد مصطفى بدوي. ومن أصبح اليوم من أعلام تاريخ العلوم عند العرب مثل عبد الحميد صبرة. كان منّا محمد منير رمزى الشاعر الذي لعلّ قصيده النثري مازال فعّالا ونضراً رغم أن صاحبه قد تجاوز دنيانا منذ أكثر من خمسين عاما، وكان منّا محبّ الأدب والفكر الذي لم «يحترف» قط بل ظلّ مخلصاً لهواه شأن العشّاق المنزّهين أنفسهم عن كل غاية أو غرض مثل نصر القفّاش، وكان ممن يمكن أن ندرجهم في هذه المدرسة، على نحو أو آخر، محمود مرسي الممثل والمخرج، وألفريد فرج المسرحي، وتوفيق صالح السينمائي، وكامل الرمالي الأثري والمؤلف الموسيقي، وشفيق مقّار القصاص والناقد والكاتب، وأحمد زغلول الرّسام، ومحمد عبد المتعال قدّال الدارس والمعلّم، وشفيق مجلي الأستاذ الجامعيّ والباحث.

أحمد مرسي في تقديري من علامات هذه المدرسة.

هذا الشاعر، المصور التشكيلي، الناقد، المترجم، من أوائل رواد «الشعر الحر» أو شعر التفعيلة بإيقاعاته الجديدة، فقد كتبه، منذ كان في الخامسة عشرة وكان كتابه الشعري الأول – والوحيد حتى «قطوف من أزهار حقول الاسبرين» – «أغاني المحاريب أو خطوات في الظلام» المنشور في يناير ١٩٤٨ في الأسكندرية ، إيذانا بهذه الريادة الباكرة.

أحمد مرسي شاعر الاسكندرية وقد تغني بها، بمعنى ما، كما يفعل كلّ أبنائها. فليس

التغني هنا هو «الطرب» الشعري التقليدي، وليس مجرد نوستالجيا رومانسية متسايلة الحنين، بل أن فيه بعض سمات الشعر الاسكندرانيّ – أو أهمها – على طول الحقب.

في هذا التغنّي بالاسكندرية سيادة للّغة لاينالها الوهن، وأناقة تقنّية لاتسقط تحت غائلة التكلّف أو التصنّع، فيه إحاطة متضمّنة بالتراث الإنسانيّ دون جهارة في الإعلان عنها، وفيه أخيراً استعانة بأشكال الشعر المكّرسة – في الوزن والقافية – بطرق أصيلة جديدة مفاجئة.

وفيه الحبّ، مضمراً ومجهوراً به، يسري في تضاعيف الشعر كما تسري المأساة في صميم نسيجه.

وفي هذا الشعر الاسكندراني – شأن كل شعر ينتمي إلى تلك المدينة الأسطورية – الواقعية معاً – عكوف على مسألة الشعر أو على مساءلة الفّن، وعناية بالأرضّي اليومّي تحيله إلى مايتجاوز الأرضيّ واليوميّ.

هذا إلى أن الموت يرود هذا الشعر، كما ظل يرود شعراء الاسكندرية القدامى الذين أبدعوا، إلى شأو بعيد، في فنّ المرثية الوجيزة المركّزة، أي «الإبيجرام» الرثائي.

منذ أيام كاليماخوس العريق توحدت الآلهة –تقريبا– مع الناس، وأصبح لشؤون الحياة العادية ما يقارب الهالة القدسيّة.

في قصيدته «اسكندرية من بعيد» ترنيمة حب– على طريقتها – إذ كتبها عندما كان الشاعر من أوائل رعيل المدرسين المصريين في العراق، في الخمسينيات المبكرة، بمدرسة العاقولية الثانوية، وهو يذكر – بل يرى – شاطئ اسكندرية:

«كثبانه خضر صخوره
أصدافه خضر كنوزه
أعماقه خضر نجومه
من لازورد.»
....
محارة شمس محارة
شمس وأسماك مشّعشه
تقعي على الرمال..
هناك لي هناك منزل
وكان لي حبيبة
وبعض أصدقاء»

(بغداد ١٩٥٤)

ثم هو يكتب متتالية شعرية بعنوان «يوميات كافتيريا رويال» وقد كانت كافتيريا سينما رويال، في ١٩٥٠، حدثاً له وقعه في صبانا: مواعيدنا الغرامية، في وثارة الدفء شتاء، وطراوة التكييف صيفا، مقاعدها المنّجدة بغنى، وموائدها الزرقاء خفيفة الزرقة، مناخ من الأناقة والرهف، كانت واحة للحب، موئلاً للراحة، وملاذا يأخذ فيه الواحد منّا – وحده أو مع صديقه، أو مع صاحبته– فنجان الكابوتشينو اللذيذ على ترجيعات الموسيقى الخفيفة، ومع ذلك فانظر كيف يحوّل أحمد مرسى هذا المرفأ الأمين إلى مايشبه المقبرة، وكيف يسيّد نغمات الحزن والذبول، ويستثير صوراً من نحو:

«هي على المائدة الزرقاء يطويها السكون
في مدفن الزهور
سمراء في ركني الدفين
قبور
ورد بقبّة الضريح
مقيت
وراء أستار الرؤى وتحت أكفان الضياء
(....)
أجراس ناقوس جريح
تموت
(....)
تحت الدجى فوق الحزون
حنوط
(....)
ماتت ورودي في سكون وأنا وحدى أبوح
في لهجة مريبه»

والحق أن لهجة الشاعر «مريبة» بمعنى مغاير، أي أنها – على عكس المنتظر – تأتي بمشكاة الوحدة، وهواجس النبذ، ووحشة الدثور، مع وميض نور.

ومع أن المشكاة سوداء «في قبو بعيد كالسماء» ومع أن الخّمارة «ثملى بتهويم الظنون في مخدع المنون» إلى سائر هذه الصور القاتمة بل مدلهّمة القتامة، فإنه في قلب هذا الكابوس يرى حلماً وضيئاً مشرق السطوع:

«كانت هنا.. نعم، ومُذْ دقيقة كانت تسير
كأنها سحابه
المئزر الأبيض رفاف كمخدع وثير
مضرج الستائر..

ولكننا ما نكاد ننعم بهذا الضياء حتى يعاجلنا الشاعر بالنقيض:

«الباب مقفل وخلف الباب مقرور حسير
ينهش بالأظافر»

هانحن نستشرف، من االآن، جدلّية الموت والحياة التي سوف تحفز كلّ شعر هذا الفتى منذ صباه حتى مشارف كهولته.

اسكندرية أحمد مرسي، مثل اسكندرية الشاعر الاسكندراني الجميل المأساويّ الآخر: قسطنطين كافافي، ليست اسكندرية البحر الفسيح والأفق اللانهائي. لقد رأيناه، من بغداد، يودع شمسها الساطعة في قلب محارة، ويدفن نجومها في اللازورد الكثيف، فإذا كانت تلك تجلّيات الحنين إليها ونوستالجيا ذاكرها من بعيد، فإنه في قصيدة «سيريناد.. ميدان كاردوتشي في الليل» يذكّرنا، على نحو لايقاوم، وعلى اختلاف المسعى الشعري النهائي، بدروب كافافي المريبة، وأزقّته التي تعد بحب سري غير مسموح به بل هو محرّم محظور، أما شوارع اسكندرية أحمد مرسي فلا تعد إلا بالضجر والفناء والكلال، وغياب نشوة الخمر في التراب، بل تنتهى «السيريناد» بقطة تموت، بينما الشاعر رأسه مدفون:

«والأرض تحتي هوّة سوداء ثَم حجارة السكون
(....)
تلك الفوانيس الثلاثة تغرق الميدان في كآبه
مثل العوانس شاحبات، والبريق يغيب في سحابه
(....)
انّي أسير على الطريق كطائف في فدفد الملال
أقتات من ومضات مصباح تَرَاقص رقصة الزوال
أنا ذا أدبّ بقرب بيتك واجماً كالدائص المريب
متأمّلا ميدان كاردوتشي بظلّ سكينة المغيب
تهتز جمجمتي لذكرى قطة كانت هنا تموت
فإلى متى أحيا ورأسي في التراب ومرقدي مقيت» (١٩٥٠)

إن الفتى الشاعر يصل إلى أن يسمي رأسه «جمجمة»، فهذه إرهاصات أو تجليات رومانسية التشاؤم والسوداوية التي سوف تسود هذا الشعر إلى فترة طويلة، وتظل تراوده – على هينة–حتى الآخر.

إن البحر في لوحات أحمد مرسي الفنّان التشكيلي دائماً كتلة صمّاء مصبوبة جامدة،كامدة الزرقة تضرب إلى سواد، والأفق مسدود ساقط على الكون بثقل رازح لايريم، فإذا كان ذلك لايأتي في شعره بهذه الصورة على نحو مباشر، فإن مجرّد غياب الرؤية الوضاءة لشفرات البحر والأفق والسماء الفسيحة، له دلالة واضحة. إن الغياب هنا – كما لايحتاج إلى بيان – تقرير مضمر.

إن صور البحر الطلق، والسماء الشاسعة الصراح، والأفق الوضيء، لا تأتى، أو لا تأتي إلاّ لماماً، في كلّ من شعر أحمد مرسي وقسطنطين كافافي الذي تفرق بينهما أشياء كثيرة جداً، وإن كان لكافافي سحراً أوقعه بابن بلده، دفعه إلى أن يترجم لحياته، وأن يصدر عنه كتاباً، يهديه إلى متتالية متميزة من لوحات الحفر على الزنك، على أنني أقطع بأن أحمد مرسي لم يكن قد قرأ كافافي في تلك الفترة الباكرة من شبابه في أوائل الخمسينات.

مثل كافافي فإن اسكندرية عند أحمد مرسي هي «المصابيح الكليلة.. والمدينة غير حافلة بنا»

«أبدا أموت مع الطيور»
«بين الشوارع والمنازل والسكون
تحت المصابيح الكئيبة والدجون
أسري كأني مجرم» (سبتمبر ١٩٥٠)

وحتى في اللقطة الواحدة التي يصوّر فيها بحر الاسكندرية نجد نذراً موحشة، وطيوفاً مقلقة:

«وراءهم مدينة تجثو على الساحل في سلام
ترقى سماءها نوارس حمر
وصيحات بواخر تقلع للشمال» (اسكندرية من بعيد)

فالمدينة هنا «تجثو» أي تسقط راكعة، والنوارس «حمر» بكل ما تتضمن الحمرة من ظلال معاني الدم والنار والاشتعال، والبواخر تطلق صيحاتها كأنما للاستنجاد أو للتهديد، في الوقت نفسه الذي تكون فيه «الأسماك المشعثة»:

تقعي على الرمال
في دكان سمّاكٍ
أمام مطعم فقيرٍ
تموت في الأقفاص والسلال» (اسكندرية من بعيد)

فهذه صورة أشدّ قتامة من صور حانات كافافي الفقيرة المشبوهة التي يلعب فيها العمال الورق، ويضجّون بعرامة عنف – وربما حب– مكتوم.

أما اسكندرية أحمد مرسي، فتكاد تكون بلا أمل في الحب، وإن كان ثمّ نداء للحرّية، وللثورة:

«في كلّ شارع رصيف
ينام فوقه يتامى
في كلّ قبومومس
في حضن غريب تترامى» «في الليل» يونيو ١٩٥٠

وأمام أبواب الفنادق تحت أضواء النيون
قرب المطاعم والمواخير المريبة يجلسون على الرصيف
أمٌّ تهدّل ثديها المبعوج بين يدي رضيع شاحب خابي العيون
وعلى الطريق
المومس الشمطاء كاللص الطريد
مذعورة الخطوات تخشى قسوة البوليس
والمتسكّعين
(...)

– أسمعتَ من نادى «أنا حرّ، أنا حرّ طليق؟» «العودة» يوليو ١٩٥٤

مثل شعراء الاسكندرية البطلميّة القدامى، يرود «الموت» شعر أحمد مرسي، باستمرار، وتأتي شفراته، مفرداته، رؤاه، لتغمر هذا الشعر: الكفن، الإران، الضريح، الجماجم، الأشلاء، الأطلال، الحطام، الحيّة الرقطاء أو الرقشاء، والقطة التي تموت، وهكذا إلى مالانهاية تقريبا.

ذلك أوقع الشاعر – منذ صباه الباكر – في غواية مستحوذة، بل أنه يكّون النسيج الأساسي في

شعره، ويضفي على هذا الشعر مسحة «تعبيرية» بالمعنى الذي نقصده في الفنون التشكيلية، أي عارمة الحيوية جيّاشة بل موّارة بالطاقة وشحنة الانفعال، حتى وهي تبعث عالم الفناء والدثور، إنه يحس «الدمعة جذوة نار» بل أن القصائد الكاملة البديعة التي غمرت صباه الباكر كانت أساساً قصائد يلهمها الموت.

لكنه في آخر «قطوف من أزهار حقول الاسبرين» ومع أنه يقول: «عدت إلى خرائب الماضي.. إلى مدينة الأموات» فإنه يسأل، يهتف، بل يؤكد أنه حتى في نحيب المهرجين فإن ثمّ صرخة تعلو وتسود كل شيء:

«مَنْ غيرنا الأحياء؟
مَنْ غيرنا الأحياء؟»

الحياة، إذن، رغم حصار الموت وحواذه، هي مُلكنا الذي لاينازُع إننا نحن، وحدنا، الأحياء، حتى في قلب خرائب الموت المحيق.

نسمع هذا الفتى في السادسة عشرة من عمره أو نحوها، يقول:

«نرى خطوات لليل الغروب
فأنّى الفرار وذا حالنَا
من اللبس والحدس حال مريب
تمرّدهور
وتفنى عصور
ومايرضع الطفل ثدى حلوب!(★)

منذ هذه البداية الباكرة يمكن أن نلمس عند هذا الشاعر ثنائية أساسية هي مصدر إلهامه الذي استمر ثرياً متدفقا حتى وقف فجأة في عام ١٩٦٨. فياله من تاريخ! هل هي ضربة الهزيمة القاصمة، هزيمة الوطن وهزيمة الروح في ١٩٦٧؟ أم هي ذروة غربة يحملها الشاعر في داخله قبل أن تطوّح به أعاصير الحياة إليها؟ أم هي نهاية قرار داخلي كان يحتشد ببطء من أوائل أيام الخلق الشعريّ المبكر حتى وصل غايته، ثم كأنما فاضت ينابيع الشعر على وسيط فنيّ آخر ومماثل

★ اغاني المحاريب أو خطوات في الظلام، أحمد مرسى، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، الاسكندرية، بدون تاريخ (١٩٤٨).

هو الفن التشكيلي الذي أبدع الشاعر فيه ومازال يبدع بخصوبة متّصلة؟

هذه الثنائية إذن هي مايمكن أن نسميه ثنائية الخصوبة – الجدب، أو كما يسميها، هو بنفسه «الخلق – الموت»، وما قد أراه تضافر هاجس الفناء وإلحاح الحسّية العضوية، أي بعبارة أخرى: ازدواج المقبرية والشبقية.

«في الليل يرقص كل مذبوحٍ على قبر الجَمَال
ويحلق المجهول في دنيا وراء دنى الظلال
فيرى نهاية يومه أمسا عتيقا في الليال
كفن ورمس أبيض ينسى به غمر الملال (★)

أو نسمعه يقول في قصيدة «أبداً أموت مع الطيور –السيرناد الأخير»:

«وأروح أقنص طائراً يغفو بفردوس جديب
وأضمّه في غفوة ضمّ الحبيب إلى الحبيب»

فإذا بالفردوس، صورة الخصب والنماء ونعيم الوفرة وحلم التحقّق، نجده جديباً، مقفراً، وهو إذ يضم الطائر الذى يغفو –كأنه يموت– إنما يعانقه عناق الحب ولكن «في غفوة» وما من شك هنا أن النوم هو رديف الموت ورصيفه وندّه المنذر به.

ومازال هذا الهاجس المزدوج في «قبر الجَمَال» يتردد، دون انقطاع منذ أن كتب في يونيو ١٩٤٩، في الاسكندرية، حتى ظهر مثلا، في قصيدة «الشمس والموت» التي كتبت في كابول، أفغانستان في١٩٦٣:

كابول
حبيبي يبكي
زنبقة
تذوي في «جلخانه» ★★)

★ الفنان أحمد مرسي، دراسة إدوار الخرّاط وقصائد مختارة، طبعة محدودة، ١٩٨٩، الناشر على نفقة الفنان.

★★جلخانة معناها غرفة الورد بالفارسية.

كابول
حبيبي يبكي
أغنية
تتردد عريانه
الشمس تردّ الموتْ
وحوائط سجني
أغنية في حلق كَنَارٍ ميْتْ

ألا ترى معى أنه على الرغم من النغمة «الجنائزية» التى تشيع بقوة فى أعمال الشاعر منذ الصبا الأول، فان «الشمس تردّ الموت»

بل أن الموت ليس إلا ميلاداً من جديد، حتى لو كان الميلاد الأخير:

«إنّ الموت ميلادى الأخير» «المرسم»

وحتى أواخر القصائد التي كتبها الشاعر في باريس،في ١٩٦٨ ، نجد أنّ:

«جثث الشعراء
تسفيها ريح الزوبعة الخرساء
وتدحرجها الأمطار
وسط الأحجار
وتدقّ بها بوابات الفردوس» «الزمن الضائع»

فها أن «جثث الشعراء» تطرق أبواب الجنّات على أمل نعيم مقيم، لعلّه موهوم ولكنه هناك، فكأنما تعود للحياة ولايطويها التراب.

هاجس الموت والجدب إذن مخامر لايريم، ولكنه لايستأثر وحده بالساحة الشعرية، بل يدحضه– أو على الأقل يضاهيه– هاجس الخصوبة والخلود والخلق.

ولعلّ من أرق قصائد الشاعر تمثيلاً لهذه الازدواجية المتداغمة، والمتناغمة، قصيدته الطويلة النفاذة «الرحيل إلى أصقاع الحبّ الجحيمية» (١٩٥٠) والتي تبدأ:

«الآن أذكر كيف غابت
كيف غابت في حفير
وأهيل فوق إرانها الطين الحقير
كان الظلام ملوثا..»

وبعد سبعة مقاطع تنتهي القصيدة، تكاد، كما ينبغي لنا الآن أن نتوقع أن تنتهي، دون أن تنتهي مع ذلك مفاجأتنا ودهشتنا بضربات الشعر:

«الغاية موتي وموتك ياورود
فلم الحياة، وفورة الينبوع في قلبي وقود»

إن ثنائية «الخصب – الجدب» أو «الموت – الحياة» تتجلى في صياغة شعرية أخرى، وسائدة، هي ثنائية «التجريد التجسيد» ذلك أن أحمد مرسي يتناول «المجرّدات» أو «المعاني» ليصبّها في صور حسّية عينية مجّسمة.

وإذا كنت أورد هنا أمثلة قليلة مما يغصّ به الكتاب من هذا القبيل، فلابد من أن أعتذر عن انتزاع هذه «الفلذ» الشعرية من سياق كيانها الحيّ العضوي الذي لاحياة لها خارجه، وأنما أسوقها – كالمعتاد في التشريح النّصي بغرض التوضيح والتدليل:

«ومن سلاف الفناء المقيت غذّى الأوارا»
«تلك المناجل شؤم»
«شؤم يثير الفناء»
«قلبي يقضم القنوط»
«وبعد هنيهة بيضاء أغمس في الظلام
رجلي وبين أصابعي الخضراء
يرتعش الغمام»
«وغمست في نهر الفراغ
دلاء سأمان ضجور»
«ترفّ أجنحة الدجون
ويرتمي في المدى سكون
يلفّ راقدةً

غفَتْ على أضلاع الظنون»
«وهياكل آلهة ماتت بالأمس
في أسر رخام الصمت»

فها نحن نرى الصمت رخاماً، والفراغ نهراً، وللظلمات أجنحة تلفّ مائتة في رقادها، وللظنون أضلاع قد غفت عليها هذه الراقدة، إلى آخر هذه الصياغات التي يفيض بها هذا الشعر، فلعلّه كان من إحدى ساحات ريادته المبكّرة لما جاء به، بعد ذلك شعراء ما عرف بظاهرة «السبعينيات» أو «شعر الحداثة المصري» إذ كان الصهر بين المجرّد والحسّي من إنجازاتهم، وإن كان شعراء «أبو للو» قد سبقوا إلى الدخول - على هينة وحياء - إلى هذه الأصقاع الشعرية.

على أن مايختص به هذا الشاعر هو كيفية ربطه بين مفردة - رؤية «الثدي» وهو شفرة الخصوبة والري والاشباع والتحقق الحسي، وبين تجريدات الفناء والصمت ومايجري مجراها:

«أخاف أن يمص ثدييك الموت»
«ويمصّ أثداء السكون»
«وهاماتهم في الخرائب تلعق ثدى العفن»
«مومياء إنسان حديث.. مصّ أثداء الفنا»
«سأعض أثداء السكون اليابسة»
«ويعبّ من ثدى السكينة ذكريات تستفيق»

إنّ الحسية وهي صنو المتعة بالحياة، بل هي احتفاء جذريّ بالحياة، تتفجّر في شعر أحمد مرسي، سواء منه ما كتبه في يفاعة الخلق، في فترة الهوس بالكتابة (أى بين عامي ١٩٤٩ و١٩٦٠ على وجه التقريب) أو ماكتبه بعد ذلك، وهذه السمة هي نفسها التي تفيض على لوحاته ورسومه حيوية عارمة مهما بدا من سكونيتها - فلعلّ توقف الزمنية في اللوحة أو التشكيليّة مما يخدع العين أو يزيغ التلقي لأول وهلة، فسرعان ما تدرك فيض الحس إذ تتأمل اللوحة قليلاً، أما في الشعر، وربما بسبب زمنية التلقي الضرورية في الفنون القولية (والموسيقية) - على خلاف الفنون التشكيلية- فإن دفق الحسية وتقلبها ومورانها بل ، وفورانها أحيانا، مما يستوقف القلب، ويدحض هاجس المقبريّة أو الموت، كما أسلفت القول، أو يكاد.

والشواهد على هذه الحسيّة - بل الشبقية- لاتكاد تحصى في شعر أحمد مرسي، بل هى تهضب في نوع من فيضان الحواس:

«والريح تعول والحيا يهمي وتلتحم النهُر»..
«ياشمس هلّى وارقصى يادجيّة العتم الرهيب
«وتقلبي فوق الوسائد وانثرى الثوب الخصيب»
«نار علي صدري
لهيبها المشبوب مسخ أحمر اللسان»
«كنزي
جسد عريان
في كلّ مكان
عين سوداء
وهلال
اندلسي»»
«وأفتش خلف مرايا الوهم
في ثدى الحلم
في أصداف الحدقات الواسعة السوداء»
فتيات أثينون حطَمن إسار الأسر
فتيات أثينون مزقن الأقنعة الأفريقية
ونزلن إلى الطرقات عرايا...
(....)
وأخذن يطفن على الحانات
ومراسم كل الفنانين
يضاجعن الخصيان
وسحاقيات فراديس الأفيون»
«امرأة تمور في الثياب
وترتمي ممزوقة الحجاب
عارية.. لاهثة اللعاب»...
(....)
«سأعضّ أثداء السكون اليابسه
وأمصّ أرحام الليالي الدامسه
وأسير في تيه القرون الدارسه»

فإذا صح أن ثمة «فكاهة سوداء» في الأدب لها تراث عريق، فإن هنا «شبقية سوداء» لاتنسلخ عن مبدأ العضوية المخصبة معاً، لكنها لاتفترق، أيضاً، عن تهديد أشباح الفناء والخراب والتهلكة.

فهل لنا أن نتساءل هنا، عن هذه العلاقة الحميمة، بل الجذرية بلا انفصام، بين الحفاوة بالحسية وبين ظل الموت الماثل أبداً، هذه العلاقة التي تبدو كأنها من أخصّ خصائص «الشخصية المصرية» منذ رأينا ولائم الحس– وبذخ الحياة وأنواع الطعوم والمشارب – على جدران مقابر المصريين القدماء؟ كأنما هو نوع من تحدّى الموت نفسه، ومقارعته بخمر النشوة بالحياة.

وعلى كراهتي لاستخدام المصطلحات الغربية، يبدو أنه لامعدى من الإشارة إلى هذه المصطلحات على سبيل التقريب.

لاتخطئ العين مافي هذا الشعر الذي كتب في آخر الأربعينيات وعبر الخمسينيات، من نفحة «رومانسية» فإن إيحاءات الخطاب الرومانسي واضحة فيه، ولكن ذلك كله تصبغه، أيضاً، مسحة قوية من ظلال السيريالية. فهي ليست اذن «رومانسية» علي محمود طه، أو حتى محمود حسن اسماعيل، بله «رومانسية» ابراهيم ناجي، بما يسري في تلك الأشعار من تغنٍّ بالحلم، وشراع الخيال، وزوارق السحر والجمال، والشفاه الظمأى إلى القبل، إلى آخر ذلك القاموس الذي يبدو لنا الآن – في معظمه على الأقل، وفي خارج سياقه التاريخيّ– متهالكاً ومستهلكاً، بل هي عند أحمد مرسي رومانسية «القمر الهزيل» وكواكب الأرض الشقية» و«الكواكب الواجمة» مرة أخرى.

«أمن الأوام إلى الأوام؟
أمن الخراب إلى الخراب؟
أمن الظلام إلى الظلام؟
أمن التراب إلى اتراب؟»
«وغدي المعلق في الأفق
كضبابة وقت الشفق
في لحظة قد تختنق»

لا أعرف على وجه التحقيق – بل لا أظن – أن أحمد مرسي كان قد قرأ في تلك الفترة المبكرة كتّابا أو شعراء من قبيل هوفمان أو الرومانسيين الألمان، فهذه عنده إيحاءات من تلك الرومانسيّة الجهمة المهمومة بالفناء والدثور، ولكني أكاد أوقن أنه قرأ الترجمات العربية لألفريد دي موسيه ولامارتين وأضرابهما★، ولعل أثارة من معجم رومانسية نهاية القرن، بما في ذلك المعجم من

★ يقول الشاعر أن الشعر المترجم إلى العربية لم يستهوه في تلك المرحلة المبكرة من العمر، وقد حاول في سنّ مبكرة أن يقرأ الشعر الفرنسي والشعر الأنجليزي بجلد ومثابرة، كانا من خصال مرحلة التكوين.

إلحاح على السأم والضجر والملل، قد اتفقت مع خصيصة أصيلة في روح الشاعر اليافع عندئذ، أو ليست هذه من خصائص رومانسية اليفاعة: السأم من الحياة الذي هو الوجه الآخر – في الحقيقة– لتفتح الحياة، والتغني بالموت والثبور الذي هو في جوهره تأكيد لشباب الحياة؟

أما «الظلال السيريالية » في هذا الشعر فلاشك عندي أنها أصيلة وأنها مقوّم من حساسية الشاعر المصور الذاتية، والعامّة على مستوى نخبة الحركة السيريالية المصرية عندئذ، على السواء.

«حيث يراقص القمر المذبوح
نساءً شعث الجدائل عاريات
تتهدل الأثداء على الطريق
كالأعشاب اليابسة
وتمتد الأذرع البيضاء إلى القاع الرهيب»
«الليل نهر ساكن
والريح مزمار حزين
نفحته أفعى فوق أعشاب الحزُون
فسمعت شعْراً أسوداً
ثرّ القماقم كالدجون
وصدى عزيف»..
أنا ذا أعبّ وحلقي الملهوب تضرمه الحروق
وبدلوى المخروم جمجمتي عسى تصل الرحيق
أنا ذاأعبّ من المساء
سأم الوجود»

هو ذا المزمار الحزين – وهو ما يكاد يشبه قالباً رومانسياً مكرّسا طالما ردّدته قصائد «الرومانسيين» العرب والمصريين، يستحيل إلى أفعى أعشاب الوعور، وبذلك انتفت عنه قالبيته المأثورة واكتسب حياة سيريالية لاشك فيها تؤازره وتضافره تلك الجمجمة في الدلو المخروم التي تشرئب نحو رحيق صعب المنال، ثم يعود الشعر إلى «سأم الوجود».

الحية الأفعى من مفردات هذا الشعر الأثيرة، ومن رؤاه، ولايخفي ما لهذه الشفرة من دلالات شبقية (إيروطيقية) معروفة سواء في تراث الفولكور والأساطير أو في مفهومات علم النفس التحليلي عند فرويد أو يونج، وهي كذلك من مأثورات الفنانين السيرياليين.

«فتكّش أفعى تحت عطفيه وتزحف في الرداء
وتمصّ بيض حمامة رقدت فكفّنها المساء»

«وفوق مرآتي خيالها المذبوح
يستلقي بلا حنوط
القطة البيضاء قد نستني
لبن الأحلام لايسيل»

«امرأة لا كالنساء
ذات برقع يشفّ عن غروب
لعطرها الأسود فوحة الأشواك
في أنف بلا ثقوب
النار في قيمصها طروز
لايراها من له عيون
يشفّ عن مخالب عتت
في بطنها القوراء..»

أنحتاج هنا إلى فضل بيان عن أصالة الجدّة – في الرؤية والصياغة سواء – في تلك القصيدة التي كتبت في الاسكندرية في العام ١٩٥٠ ؟

فإذا صح أن في هذا الشعر مايجوز لنا – إلى حد ما– أن نسميه «رومانسية» وإن تكن مظللة بالسيريالية، فإن هذه الرومانسية قد دخلت عليها في فترة لاحقة مباشرة «واقعية شعرية» إذا صحت التسمية أي نغمات ثورية من الانتصار للفقراء والمسحوقين، في قصائد مثل «نداء» ... هناك صوت بعيد.. بعيد.. ينادى قلاع العبيد.. غدا تسقطين.. ونبني على أرضنا.. بيوتا لأولادنا.. يعشش فيها الضياء.. وننقش جدرانها بالرسوم.. أنغام شعر يمجد ليل الكفاح» أو قصيدة «أغاني للجميع»:

«وأنا أغني مُذْ سنين.. للأمهات بدُورهن وللرجال الكادحين.. للمومسات، وللرجال الضائعين.. للأشقياء الهاربين من السجون، وللصوص المفزّعين بين الشقوق.. إني أغني أغنيات الحب في وضح النهار، حبي لكم، حبي الذى أوقدته، بهشيم أحلام الطفولة والربيع.. مع الصعاليك الذين يغردّون من الصباح إلى المساء».

هذه الثوريّة العاطفية في شعر أحمد مرسي قد تجلّت بوضوح في القسم الذي أعطاه عنوان «١٩٥٤» في كتاب«قطوف» فياله من عنوان.. ويالها من سنةٍ شهدت في مصر تحوّلا خطيراً في مسار الديمقراطية لعلّنا لم نبرأ من عقابيله حتى الآن.

وما من شك في أن هذه الرومانسية تكاد تشفي على السنتمنتاليّة أيضا، لولا حسّ بالرحمة

يتجاوز الطرطشة العاطفية التي كانت تسود هذا النوع من الشعر في تلك الفترة، وهي رحمة غير تقليدية وغير مألوفة. إن الانضواء تحت مظلة اللصوص والضائعين والمومسات لم يكن تماماً من الأمور المقبولة في عرف الأخلاق «البورجوازية» أو «اليسارية» على السواء ولعلّه مازال كذلك، مع مافيه من حسٍّ إنساني عميق.

على أن الفنان أحمد مرسي، في تقديري، من أوائل – ومن روّاد – الشعراء الذين عرفوا ما أسميه شعر الحياة الأرضية، أو شعر اليومي الذي يرتفع بالمبتذل الشائع إلى مصاف السامي، المتجاوز لأرضيّته بمجرد فعل الشعر.

ولعل هذه من أهم خصائص شعر الحداثة السائد اليوم، ولعله أيضاً ما تختص به «قصيدة النثر» التي تكتب بكثرة الآن، وهو شيء يختلف عن لمحات جاءت عند شعراء التفعيلة، من نوع البيتين الشهيرين:

«ورجعت بعد الظهر في جيبي قروش
فشربت شايا في الطريق
ورتقت نعلي» (★)

ما من كبير جدوى في اثبات الأولوية التاريخية لهذا النوع من الشعر، وهل كان أحمد مرسي قد كتب قصيدته «أطفال في العيد» في أغسطس ١٩٥٤ قبل أن يكتب صلاح عبد الصبور قصيدته «الحزن» التي نشرت في كتابه في يناير ١٩٥٧ وان كنت لم أقع على تاريخ نشرها في إحدى الدوريات إن كان قد نشرت فيها ((«الآداب» غالبا) فإذا كنت أميل إلى هذا الفرض، فإن ريادة أحمد مرسي فى هذا المجال أيضاً لاشك فيها، على أى حال:

«ونسير في الطرق الكبيرة فوق أرصفة تئن من الزحام
ونرى المدينة والفنادق والحوانيت المليئة باللعب
والتكسيات الصُفْر تجري في الشوارع لاهثه
نرى ترام الرمل ذات الطابقين، وندخل السينما
ونفرح بالقتال
ولصوص شيكاجو الغريبة، في موات الظهر، تقتحم البنوك»..

★★ الناس في بلادي، صلاح عبد الصبور. دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، يناير ١٩٥٧، ص ٨٨. ذلك أن هذه العيّنات تقع في سياق مازال فيه. «في غرفتي دلف المساء، والحزن يولد في المساء لأنه حزن ضرير، كالطريق من الجحيم إلى الجحيم» فهذا إذن رسيس الرومانسية راسخا مازال.

وفي ١٩٥٩ يكتب أحمد مرسي قصيدته «حدث في إحدى أمسيات الشتاء»:

- «بمترو فيلم جميل
غداً هلاً
غداً هلاً نلتقي
ونراه»
(....)
بعد ساعة
أكون في غرفتي
البرد قاسٍ
- «جاء الأوتوبيس أسرع

أفٍّ تأخرت، كيف أقنع أمّي
كيف أكذب»

في ١٩٦٣ كان أحمد مرسي يكتب شعراً من نوع:

«وهناك رأيت بساط الريح يُباع
لعجوز أمريكي
بالدولارات يباع

وحبيبي يهمس لي
الحلم يباع ولكنّا فقراء
سنعيش بلا أحلام (★)

بل قبل ذلك بأربع سنوات، أي في فترة التدفق السيريالي، نجد عنده شعراً آخر، بعنوان «حلم» أيضاً: فكأن الحلم - غالباً- هو من بضاعة الشارع:

★من قصيدة «أحلام بالنقود»، في كابول، ١٩٦٣، مخطوط.

«الكلب الأزرق يبحث عن قمري
الضائع في الطرقات
ينقب في عربات الموتى
في علب القصدير
في أرصفة الميناء»
وقطارات الغرباء
وبيوت العشاق الفقراء
عن شيءٍ ناءٍ
عن قمري
الحجري

أو نجد قصيدة «انطباع (١)» في نصها الكامل:

«وفي الصباح
يكنس عمال النظافة الطريق
ويلمحون دمه القاني الدفيق
فيطرقون
ويخلعون القبعات
ويهمسون
الرجل المسكين مات
الرجل المسكين مات»

وأجد في المخطوطة التي عندي أنها كتبت في باريس، في ١٩٦٨، تحت عنوان «قصائد مونمارتر» فلعلّها من آخر قصائد الشاعر، الذي يقول عن جزعه هو نفسه من الصمت الذي يهدده ويحيق به وشيكا، فيقول في «انطباع (٢)»:

حبيبتي لاتجزعي
إن سقط العازف فالشاعر لايزال
حيًا بداخلي
يقاوم السقوط والأفول
ويقتفى في جنّة المحال
فواكه الشعر التي لاتعرف الذبول»

وهي قصيدة عذبة وجميلة ومنبئة – بل هي متنبئة– فلعلّ «فواكه الشعر في جنّة المحال» قد أينعت ونضجت بالفعل في لوحات تشكيلية مجالها حقا هو «جنّة المحال» وما زال هذا الشاعر التشكيليّ ينضجها في وهج متّقد لايخبو.

هذا الإيمان الملتبس بالشعر (أي عقيدة الشعْر المثبتة المنكورة في آن) ليس بالأمر الجديد، فمنذ البدايات الأولى نجد أحمد مرسي يؤكد دور الشاعر، في حركة أولى:

«الشاعر الفذّ في دنياه نبيّ جديد
له رسالة مبعوث آيها التجديد
منّزل الوحي، غنّ الحياة فاليوم عيد»

لكنه سرعان مايردّ على ذلك التأكيد، في حركة ثانية، كأنه يدحض نفسه:

«فصَاحَ: عيدٌ وفي قلبي مأتم وعديد
لمن قصيدي؟ حرام أن يستذل قصيدُ»

«الرؤيا الرابعة .. والأخيرة»

ثم هو يسأل، وكأنه ينكر:

«أوليس فينا شاعر ناموسه فكر وحبّ
– ماذا تقول؟
أقول شعرا بل هذاء
ان الطلاسم كالصلاة رؤى السماء
والنور نهر من ثمد»
– أفانت مجنون؟
جنوني لايضير..»

« أبدا أموت مع الطيور.. عودة المجنون»

ومن هذا القبيل أيضا نجد، في قصيدة «نقد الكلمات» كأنما الشاعر قد بدأ يفقد إيمانه الملتبس ذاك بجدوى الشعر أو بقيمة الكلمات (مَنْ منّا مازال يؤمن، إيماناً حقيقياً خالصاً من كل شوائب الشكّ، بجدوى الشعر أو بقيمة الكلمات؟)

«الكلمات على الطرق الملساء
ترتدّ بلا أصداء...
الكلمات مشاعل في أيدى العميان
تخبو وتضيء بلا ربّان..»

فهل نرى في رثاء الكلمات – رثاء الشعر – تنويعاً من تنويعات تيمة قطبي الموت – الحب التى تكوّن لبّ العالم الشعريّ عند هذا الفنّان؟

على الفور تأتينا «ترليمة» كأنما ليعيد تأكيده على يقين بالحياة، وبنعماء الفّن، ونحن نلاحظ – هنا – أن الصور والمجازات أقرب إلى ساحة الفّن التشكيليّ منها إلى ميدان العمل الشعريّ، كأنما قد بدأ يستدير إيمان الفنان تدريجياً وعلى نحو لا واعٍ تقريباً، نحو هجران الكلمات واعتناق الصور، بل أن هنا إيحاء بأن الشعراء هم في النهاية أشباح دون كيشوتيّة «**وأقاتل تحت طواحين الشعراء**» لكنّ الفنان يفتّش «**في أصداف الحدقات الواسعة السوداء.. عن مفتاح الكنز الموعود**» من أجل الابنة الحبيبة شيرين..

في سياق الانحياز إلى ديناميّة الحياة، والتخلّي عن جمود الموروث التاريخيّ القديم، أى في سياق الميل إلى أحد قطبي الحياة – الموت، تأتي قصيدة «حريق ليلة العرس»:

«**فأنا طهّرت ردائي من عفن التاريخ بحامض كبريتيك..
رأيت ردائي تحرقه النيران**»

ومع ذلك فلا يفوتني أن ألمح في شعر أحمد مرسي – شأن كل شعر لاعج ولصيق بما هو حميم في الروح – حسّاً بالإثم، مضمراً، سارياً في طبقة تحتيّة، يلهم الشعر بهواجس الموت والقبور والفناء، أي هواجس العقاب المحتوم، ولعلّ فيه أكثر من إشارة إلى شبقية ينصب موضوعها على المحرمات، أو على المحارم، أنظر مثلاً كيف يتبدى هذا الحس، مرة واحدة، ساخراً مفصحاً عن ذاته:

**قد عدت في خطو الغريب
لأراك عارية كقلبي حين تغشاه الذنوب
وأصيح فيك: تحسسي
بيدى كفن.
«وذكرت أنى مجرم لم يدرما اقترفت يداه»...
«أني وقفت ببابها المغلوق كاللص المريب»...**

«تحت المصابيح الكئيبة والدجون
أسري كأني مجرم»..

في مقابل الحسّ بالإثم نجد أن صرخة الحرّية المهدرة تدوي في غمار هذا الشعر:

«ربّي أنا حر، أنا حرّ
أنا حرّ طليق
هذا سراجي فهو منك
شعاع مصباح فتيق...
الآن أصرخ من صميمي
تلك قافلة تسوخ «» «أبدا أموت مع الطيور.. الشاعر والليل»
«حرّيتي..
أنا ذا أنادي
هل أنا ما زلت حرّا؟
أفما يزال بقبضتي يُطوى الزمن
دهراً فدهرا
أفما يزال لي اختيار عقائدي مهما تدجّت؟
أأعيش حراً في غدي
إن قبله يومي تفتّت»..

ما أصدق هذا الشعر -الذي قيل من نحو نصف قرن تقريباً - تعبيراً عن أحوالنا اليوم، إذ تهددنا قوى الظلام والردّة الحضارية المتنكّرة تحت أردية دينية، بإهدار صميم إنسانيتنا، حريتنا.

هذا الشاعر الفتى يهتف، في ١٩٤٩، وكان عنده تسعة عشر عاما:

«حريتي
«أتركت لي خبزي وديني حين يفلت؟
«أبقبضتي أكفان أمسي؟» «ماتت في ضوء القمر.. النشيد الأول»

يتساوق مع صرخة الحرية المهدرة حسٌ بالفقدان والهدر يسري في تضاعيف العمل الشعريّ منذ البداية حتى النهاية. ولن أستطيع أن أحصر الأمثلة والشواهد، أكتفي مثلا بما يقول:

«عشرون عاما نحن نمشي هل بلغنا ما نروم؟»

وهو سؤال يظل قائما، بلا إجابة، بعد ستين عاماً من «المسيرة»:

«عشرون عاماً وهو ينطح صخرة الوقت المكين»...
«عشرون عاما قد مضت عشرون عام
وأنا أفتش عن خلاصي في الظلام
- ماذا وجدت؟
- ضفادعاً تطأ الورود
حمراء تنعق في الظلام ولا نشيد
يعلو ولا لحن جديد
- ماذا جنيت؟
- صدى القصيد ولاقصيد»

ها هو ذا الشاعر، في العشرين من عمره، يؤكد وينكر عقيدة الإيمان بالشعر، فهل يتغير الأمر بعد ستين عاما؟ هل يتغير الأمر على الإطلاق بغض النظر عن عدد أعوام الحياة، وبعد الحياة؟

ومع ذلك كلّه، تعود «الحياة» لتؤكد ذاتها من جديد، إن البهجة، والفرح بالحياة تتبديان، في أوجهما، في قصيدة مثل «الحلم»:

«وداعب الجفن حلم
حلم حريريّ الجناحِ
وفوق رابية الورود
في المدى الصدّاحِ
رأى فتاة
وراء الأشجار فوق الأقاحي
تشدو كنايٍ رخيم
يحدو رِكاب الصباحِ»

أوردتها كاملة، لأنها، على وجازتها – أو ربما بسبب من ذلك – قد برئت تماماً من نغمة الحزن وظلال الموت، وخلصت تماماً لبهجة نورانية هفهافة شديدة العذوبة «الرومانسية».

أما قصيدة أخرى مثل «أغنية» بايقاعها المرقّص فهي قصيدة تبدأ بفرح، لكنها تنحدر نحو نهاية الأسى والفقدان والدمار.

وكذلك قصيدة «الخريف» ففيها أصداء من تجارب قطبيْ البهجة والأسى، أى قطبيْ النور والجفاف:

«وراء أودية الغروب
والنور يرقص في شحوب
ترقد عارية
بين الورود على كثيب..
النور في رعشة الجفون
تمدّه الهدب في سكون
على شعاع له،
في الصدر نبع من الحنين...
فأيّ قيثارة •
تجفّ في ذروةالرواء؟»...

أشير، بسرعة، إلى بضع سمات أسلوبيّة (هي في الوقت نفسه رؤيوية، لاينفصل فيها «الشكل عن المضمون» بداهة).

فمن سمات هذا الشعر الأسلوبيّة أنه يعكف على «الوصف» أو «التصوير» في حدّ ذاته، مجّرداً ومعزولاً وشيئياً، ذلك يحدث أيضاً في لوحات أحمد مرسي حيث يوحى «التصوير» دائماً بما يقع وراء التصوير من رمزية دون أن يفقد، لحظة، خصائص التصوير.

يأتي الوصف والتصوير عنده، دائما تقريباً، في غمار سرديّ، أي في تضاعيف حكاية – هي أكثر من مجرد حكاية بكثير – مما يضفي على العمل كله نوعا من الدراميّة الحارّة المتدفقة، ترفده في أحيان كثيرة حوارات تشي بتعدديّة في الأصوات، وتغاير فيها، كما تنمّ عن أذن مرهفة لالتقاط نبرات الحوار الدقيقة التي يتمتع بها المسرحيّون والروائيون القادرون.

تلك الدراميّة الحارة الديناميكيّة تأتي حتى لو كان «موضوع» القصيدة هو الموت والجمود

والهلاك.

تُعينه على ذلك مقدرة لغوية غير معتادة، وتمكّن من استخدام المفردة الفصيحة المعجميّة غير الشائعة بحيث تدبّ فيها حياة عصرية جديدة. كم منا يستخدم اليوم – ويجيد استخدام– مفردات مثل :مسجورة، خبء السماء، الدجنة (التي تتردد عنده كثيرا) أو ثمد، الصريم، الدائص، الحريد، جثام، إران، ملاب، الحوباء، وهكذا كثير.

إنه هنا يجمع بمقدرة وحيوية واضحة بين عراقة اللغة وحداثة السياق.

هذا إلى أنه يلتزم، دون حود، بالتفعيلة دائماً والقافية في الغالب الأعمّ حتى إن كان ذلك يؤتي الشعر موسيقية رتيبة متوقعّة – وأحياناً زائدة عن حدّ القصد الشعرى الحتميّ، في تقديري – ولكنه مع ذلك جهد دائماً في تنويع نغمات هذه الموسيقية استهدافاً بلا شك إلى كسر رتابتها.

لاننسى أنه كتب ذلك الشعر في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات حين كان مجرد الخروج على الأوزان الخليليّة الثابتة الكاملة تمرداً ومغامرة غير محسوبة العواقب.

ابتعد أحمد مرسي عن اجتياب إمكانات «قصيدة النثر» التي كان يكتبها قبل ذلك بسنوات قليلة كاتب هذه السطور، كما أبدع فيها محمد منير رمزى روائع متفرّدة لا في السياق التاريخيّ لزمنه فحسب بل خارج هذا السياق أيضا.

لقد كان مدى ثورة أحمد مرسي على «أكفان الماضي» هو إنجازه الخاص به وحده لما سمى عندئذ بالشعر الحرّ، وما نسميه الآن بشعر التفعيلة، مع تجديد غير مسبوق (إلى هذا الحد على الأقل) في التقطيع والتوزيع الموسيقيّ، مهما كان شعراء أبو للو، قبل ذلك بقليل، قد غامروا في هذا السبيل على استحياء وتردد وحساب.

إن النظر في المعجم اللونيّ عند أحمد مرسي يفضي إلى أسئلة أو مسائل شائقة.

فلعلّ أحمد مرسى من أكثر الشعراء المصريين المحدثين إفادة من المعجم اللونيّ في شعره، فالأزرق والأسود والأحمر والأبيض والأصفر تتردد بدون انقطاع من أول نَفَسٍ شعريّ حتى آخر أشعاره:

«ريشتي قد لوّنت بقعاً
وغدت تستعرض القَنَنا» «موعد قديم»

ولعلّ الأزرق هو اللون الغالب على شعره، وهو الأثير إليه في لوحاته. وهو عنده لون غير حزين، وإن لم يكن بالضبط بهيجا، بل هو لون قاتم لكن القتامة هنا لا تعني بالضرورة استدعاء دلالات «سلبيّة» بقدر ما تستدعي كثافة متعددة المستويات:

«قمرنائي
«قمر أزرق
«في صحرائي
«كحمامة بيكاسّو» «السماء مسوّرة»

إن القمر الأزرق البعيد الذي يماثل حمامة بيكاسو ليس بالضرورة قمراً منذراً بالشؤم، بل إن سطوع ضوئه الأزرق، مرتبطاً بصحراء النفس التي تحلّق فيها حمامة بيكّاسو، قد يوحي – على العكس تماماً – بنوع من الإشراق والسكينة.

ولكن القتامة تقترن كثيراً باللون الأزرق في شعر أحمد مرسي، كما لعلّها تقترن به في لوحاته، وفي تقديري فإن لها دلالة على الغنى أو إيحاء بدسامةٍ في عجينة الروح.

«والزرقة القتماء تصعد في اكتئاب
في غرفة زرقاء كلّلها القتام» «الرحل إلى أصقاع الحبّ»

فليس من قبيل الصدفة – فيما أظن – أن الزرقةمهما كانت قاتمة إنما «تصعد» ولاترزح في ثقل، حتى إن توّجها القتام، إن إيحاءات الصعود والعلّو والتكليل تنزع عن الزرقة قتامتها الثقيلة، وتعطيها حركة متسامية.

وعندما يتوجع صوت الشاعر:

«أمي في جثام أزرق تمتص أحشاء السحائب»

فنحن لسنا بعيدين عن هذا التأويل الذى يتضمّن ارتفاعا نحو سحب السماء.

«تلك توابيت أخيلتي عجينة
لون الغسق الرمادي ودم الزهر الأزرق.
أيتها اليمامة الهائمة
تخنقك المباخر القاتمة» «الرحيل»

هنا أيضا تقترن عجينة اللون القاتمة والمباخر الخانقة ودماء الأزهار الزرقاء بما يعدّل من إيحاءات التوابيت التي تقبع فيها الأخيلة، اذ تطير في تلك الأجواء هذه «اليمامة الهائمة».

وسوف نجد تنويعا آخر، رقيق الجمال، رهيفا:

«يازهرتي الزرقاء قلبي تحت غصنك أقحوان»
«يازهرتي الزرقاء عطرك فاح في الليل الرهيب
«الزهرة الزرقاء عارية الذراع
«تهتز في أرجوحة رعناء ترعش كالشراع

«أبدأ أموت...»

«حلم روحي أزرق الدثّر

«موعد قديم»

«اذا انساب لون البياض
على أضلع الزورق...
وعادت عصافير حلمي
إلى مخدعي الأزرق
ألا تمحّي ظلمة
بجدران قلبي الشقي؟»

«صمت»

في هذه الأشعار ما يقارب الفرح باللون الأزرق (وإن كان لايقارفه) فالزهرة الزرقاء كأنما تدحض رهبة الليل بعطرها الفوّاح، هنا أيضا نجد حركة الزرقة المترامية إن لم تكن المتصاعدة، أو تهتز في أرجوحة رعناء، فالحركة هنا هوجاء مرقّصة، أو تتدثّر أحلام الروح باللون الأزرق، أو يتصاعد هذا الكريشندو حتى يتساءل الشاعر: ألا تزول ظلمة القلب الشقي بعودة طيور الحلم إلى المخدع «الأزرق» ؟ كأنما الأزرق هو مخدع الأحلام وماحي الظلام.. وهو كذلك، في تنويع قريب جدا، في قصيدة «المرسم»:

«تهبط من أبراج روحي،
والطائر الأزرق غافي،
رنّات أجراس تنادي»

فإذا كان «الأزرق» موضع سؤال عما إذا كان سوف يمحو ظلمة القلب، فإننا نجد خطوة أخرى على الطريق نفسه، إذ يستضيء القلب، فعلا، ويتفتح في مهدٍ أزرق:

لاشيء يضيء القلب.. إلا الرغبة
في البحث عن الأصداف
عن قلب عشيق
يتفتح في القاع الأزرق» «مغامرات في لاشيء»

إن مشهدا من أجمل مشاهد هذا الشعر يأتي في قصيدة «٥ مشاهد»:

«دم أوتريللو بأقداح النبيذ
يصبغ الريح وأحجار الطريق
ويحيل الموت عقبانا تدور
في أثيرٍ من زجاجٍ أزرق...

فها هو ذا الموت نفسه محبوس يتخبط بلا حول في فراغ من الزجاج الأزرق، وكأن هذا الزجاج يوحى بالأزرق الفرعونيّ المتميِّز الفريد الذي يدحض الموت.

وأخيرا فإن الأزرق الذي بدأ قاتماً مظللاً ينتهي بتهليلة أو بنوع من الهلليلويا وإن جاءت في صيغة سؤال يغلّف تقريراً أو ترنيما، في قصيدة «دورق اللون الأزرق» التي لا أستطيع أن أقاوم اندفاعا حاراً نحو أن أوردها بالكامل:

«ماذا لو الزرقة غَشَتْ كل شيء في المكان
لو استحال دورقي
إلى كنار أزرق
أو أقحوان
وانسكب الأريج يجري في فمي
ليرتوي بستان كرزي بالأريج من دمي

ماذا لو الأزرق سال
من دورقي الغميس في الظلال
لو استحالت وهي في حضني
إلى أغنية عارية زرقاء
تلوّن الانسان والأشياء
بزرقة السماء» (١٩٦٣)

أما «الأسود» فهو عند أحمد مرسي ديناميّة العدوان، وضراوة الظلام، لأنه ليس لوناً ساكناً، رازحا، استاتيكيّا، بل هو متقلّب ومندفع ومهاجِم:

«فأقبل القط يجري مكّشر الأنياب
ومدّ في صدره نابا أسود بعد ناب» «أغنية»

«وتدحرجت في هوّة الذكرى حطام
لون السخام»
«والرغوة السوداء تذهب بالقذر» «ماتت تحت ضوء القمر»

«فسمعت شعرا أسودا
وصدى عزيف»
«الوحشة السوداء تأكلني وجسمي في العراء
نهشته عقبان الشتاء» «الرحيل»

«البيت خلو والحوائط السوداء
تعلو قمّة البحار
بعطرها الأسود فوحة الأشواك «الروح والرقص»

«ورفّ ومض أسود فلاح لي طير مهيض» «الانتظار»

ففي معظم المواضع التي يجيء فيها الأسود يأتي في حركة عدوان واقتحام، سواء كان ناب القط الأسود الذي يجري، أو الحطام التي تتدحرج سوداء، أو الرغوة التي تزيح الوسخ، أو حتى الشعْر الأسود الذي يقترن بأصوات عزيف الجنّ أو الشياطين، والوحشة السوداء التي تنهش– كالعقبان – جسم الشاعر (أو جسم النصّ) الملقَى في العراء، وحتى الجدران السوداء إنما تعلو ذُرَى البحار وعطرها الأسود فوّاح بوخز الشوك، هي الجدران نفسها التي تعلو ثَبَج البحر الأسود في لوحات أحمد مرسي، بحركة تبادليّة وجدليّة بين العلوّ في الجدران والسجوّ في الأمواج الصلبة.

أما «الأحمر» في تأويلي فهو اللون الذي يتوحد به الشاعر نفسه، وعلى قلّة ترداده في شعره، فإنه من مميزات لوحاته منذ بداية عمله حيث نرى الحمامة الحمراء رمزاً وشفرة ودلالة على الأمل والحياة والمستقبل، حتى أواخر لوحاته حيث نرى المرأة ذات الرداء الأحمر شارة على عرامة الأنوثة

وقوة فرضها على الكون.

«عشرون عام...

وشراب روحي جرعة حمراء» «أبدا أموت مع الطيور»

«في الكوخ بالغابة الحمراء أهرق الدم ذئب» «الرؤيا الثانية..»

«هذا حصان أحمر بإزاء مصباح قديم «الرحيل..»

«خلف الستائر تلتوى حمر الظلال» «السيرناد الأخير»

«وشموس سوداء وسماء حارقة حمراء» «أرابيسك»

فإذا كانت روح الشاعر لاترتوي إلاّ بالجرعة الحمراء، فإنه، كما رأينا، لايذكر بلده المحبوب اسكندرية إلاّ ونوارسها الحمر في السماء، ولكن هذه السماء نفسها حمراء، بينما انطفأت الشموس واستحالت إلى كتل سوداء صمّاء، ان الحصان الأحمر هو نقيض المصباح القديم، بما يوحي به الحصان من تنزّي الأوصال وتوفزّ الأنطلاق، وما يرين على المصباح من جمود القدم.

وحتى الظلال الحمر – خلف الأستار – تتلوّى في حيوية الكائنات الفوّارة بالدماء.

اللون الأحمر في تقديري هو لون حيوية الشاعر ولّب حياته الداخلية الحميمة، حتى إن حاصرتها الشموس السوداء.

الغريب بعد ذلك أن الأبيض عند أحمد مرسى هو لون الموت، والأكثر غرابة أن شاعراً شاباً أتى بعد أحمد مرسي بنصف قرن تقريبا (أكاد أجزم أنه لم يقرأ شعر أحمد مرسي) قد أعطى الموت لونا أبيض.

ولا أحتاج إلى تدليل، ففي «النشيد الأول» و«النشيد الثاني» على التوالى من قصيدة «ماتت تحت ضوء القمر»:

«الظلمة البيضاء تحجبني، وفي نفسى أجوب»
«كفن ورمس أبيض ينسى به غمر الملال»

وفي قصيدة «الرحيل إلى أصقاع الحبّ الجحيمية»:

«وضلوعك البيضاء بيدٌ خلف بيد»
«وتمتد الأذرع البيضاء إلى القاع الرهيب»
«رهط عذارى ثمّ في حداد
الشعر أبيض..
والوجوه مصبوغة بصباغ أزرق»

وفي «أبدا أموت مع الطيور»:
أزهار فكري كومةبيضاء وسط كُوَى السكون»

كأنما هي الأزهار الي توضع على المقابر.

ونلاحظ على سبيل الاستطراد أو الاستدراك أن الأزرق يأتي هنا في سياق الحداد والحزن، مع شَعْر العذارَى الأبيض، ولكن ألا نلاحظ أيضا أنه للمرة الأولى والأخيرة يأتي الأزرق هنا «صباغا» وليس لونا أصيلا، الوجوه «مصبوغة» بطلاء خارجي، اذن، وليست زرقاء على جبلّتها الأولى.

بل إن الرداء الأبيض- وهو الرمز الكلاسيكّي للطهارة والنقاء والبكارة (ثوب زفاف العروس مثلا) يستحيل عنده إلى دالّ على الموت، في قصيدته العظيمة: «أبدا أموت مع الطيور»:

«ياطفلتي هذا رداء أبيض نسج الطهاره...
هذا الرداء رضيته كفنا لأهوائي الجريحه»

وأخيرا فلعلّ «الأخضر» هو أمارة البكارة والطزاجةوالازدهار، حسب التصوّر الكلاسيكيّ، وإن كان ذلك في صياغات ليست كلاسيكية:

«صديان يسأل رشفة خضراء تذهب بالندوب» «المخدع»

«وحطّ في حانة خضرا
الأشنة الخضراء ماتت وامّحى البيت الدفئ
«والخمرة الخضراء من دم قلبه نِعْم الرحيق «الشاعر والليل»

وفي قصيدة «الرؤيا الأولى» من أوائل كتاباته، أنّ:
«يقلّ منها ملاك أحلامه الخضراء
إلى سماء الأماني»

ليس في هذه الصياغات مايعود إلى استنساخ صور النضارة التقليدية (العشب،القلب.. إلى آخره) بل فيها اقتحام مجازيّ في الحانة الخضراء أو في الأحلام والخمر ورشفة الشراب وهي كلّها خضراء.

من الطبيعي أن حساسية أحمد مرسي المزدوجة التي تفيض عن تيارين متوازيين من الإبداع: الشعر قولاً أو كتابة، والشعر تصويراً تشكيلياً، تجد تعبيرا عنها في التيارين كليهما، ولعلّ أحمد مرسي من شعرائنا القلائل الذين تجد عندهم قصائد مكّرسة لفنانين تشكيليين أو للفنّ التشكيليّ، فضلا عن الحسّ باللون -باعتباره قيمة شعرية كبيرة - وبالصياغة التشكيلية في التصوير والنحت، كما أسلفت القول. وأختار، عفو الخاطر، إشارات مثل:
«فتيات أفينيون حطّمن إسار الأسر
بمتحف ألموما»

«إبريق براك
يبكي التكوينات الشماء
يبكي الأسماك تموت
في أطباق سوداء» «الزمن الضائع»

في قصيدة «طبيعة صامتة» التي عنونها، فرعياً: «مرثية چورچ براك»، وبراك من الفنانين الذين يهواهم أحمد مرسي، وقد افتتن ببعض مناهجه في التصوير في لوحاته الأولى، التي تجد فيها الإطار الأسود الكثيف - وقد اشتهر به براك -يحيط بوجوه كأنها مستوحاة من وجه المسيح التقليديّ.

«ومدينة دلفوتنهار
وعرايا تجمد والصبّار
أبواب مدائن مهجوره
وعيون فارغة ومرايا من بللور
لاتعكس ألا أعمدة وعرايا من أحجار»
«الوقت مساء
ووراء زجاج الشباك
شيء كوجوه مود لياني» «مغامرات في لاشيء»

ومن قصيدة «أرابيسك» :

«الوشم على جدران مقابرنا
الوشم على أفخاذ بغايانا
وتماثيل الوثنيّين الشوهاء
تتثاءب في ساحات مدائننا»

ومن قصيدة «نحت رقم ١» :

«طير برانكوزى حبيس في إسار المكان
طير خوان ميرو نبىٌ طريد
في اللازمان
وطائري ڤيثار بيكاسو
مراثي الأندلس»

وأخيرا في قصيدة «٥ مشاهد» :

دم «آوتريللو» بأقداح النبيذ
في يد القسيس
والمومس
والشاعر

والسفاح، في ثغر العشيق...
كان «أوتريللو» حريق..»

بيكّاسو، براك، دلفو، أوتريللو، برانكوزى، موديلياني، خوان ميرو، هؤلاء هم رفقة الشاعر وخلصاؤه حقا. ولكنه كأنما يهم بمشروع مستحيل: هو أن يطلق مخلوقات هؤلاء الفنانين التشكيليين من«إسار الأسر» في اللوحة أو التمثال، وأن يعطيها بعداً لامكانياً ولازمانياً معاً - بالضرورة، ساحة الشعر براح فسيح نجد فيه كائنات الفن التشكيليّ - هنا - نوعاً من الحرية لعلّه لم يكن متاحا لها في داخل «إطار» اللوحة أو «إسار المكان» فهل هذه هي «جنة المحال» ؟

أخيراً، فهل أغامر بتأويل للعنوان الملغز والجميل لكتاب «قطوف من أزهار حقول الاسبرين» الذي هو اختيار صعب من حصيلة عمرٍ شعريّ بأكمله؟

هل الاسبرين - كما يتبادر للذهن فورا - هو العقم، أداة الخدر، واللواذ بالشعر من الألم الحقّ؟

هل هو في النهاية دلالة على انهيار العالم الشعريّ؟

ولكن هذه الحقول الخصيبة وأزهارها نقيض للجدب والمحل والعقم وفعل قطاف الزهر من حقول الاسبرين دحض للاستكانة، واستعادة لجمالٍ مفقود.

هنا، أيضاً، نجد التضاد المتصل بين قُطْبي العالم عند هذا الشاعر الكبير.

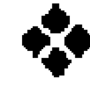
هل صمت هذا الشاعر حقاً؟ هل رجحت كفة التصوير على كفّة القول الشعريّ؟ هل كانت ضريبة الطليعيّة أفدح من الاحتمال، وعوامل النكران للجرأة والتجديد أقوى من عزيمة الإصرار؟ هل كانت ضربة الاغتراب - روحياً في الأساس ثم الغربة عن الوطن، وإن لم يكن قد فارقه حقا قط - نهائية؟ أم أن حقيقة الأمر، كما قلت هنا مراراً، هي أن ساحة الفن التشكيليّ قد اتّسعت لتشمل الشعر الذي كان دائماً كامناً فيها؟

ما أصدق نبوءة الشاعر في قصيدته، «الشاعر يبعث من جديد»:

انتفض الشاعر، والشاعر كان
الفارس الملعون يمتطي حصان
عيناه حفرتان...»

«انتفض الشاعر، والفارس عاد
ليعتلي صهوة عنقاء جناحاها صليبان
عاد من المنفى
بقيثار خرافيّ له ألف وعينان
أوتاره
أحشاء إنسان»

وسواء كانت «أحشاء الإنسان» تصبح أوتار عازف الشعر، أو ألوان وتشكيلات مبدع الفن التصويري، ففي تقديري أن ينابيع الشعر عند أحمد مرسي مازالت ثريّة غنية، بعد أن افترع الشاعر طرقا لعلّه لم يكن مسبوقاً إليها، سواء كانت فيها رؤى سيرياليّة، أو تعبيريّة أو واقعيّة شعريّة، على مرّ السنين، وإن كانت كلها خاصة به، ومتفردة، وكلها تذهب إلى تكوين جسد شعريّ باذخ، مازال - في معظمه - مجهولاً.



قرابين

إلى الجيف التي لم تنقل نتنها الرياح

الأسكندرية ١٨ ديسمبر ١٩٤٨

الرؤيا الأولى

جلست والليل وحدي في غرفتي مستثيراً
وفوق مدفأتي أطعمت الضرام بخورا
والنار سارحة تسري في الوقود سعيرا
تمتّد ألسنةً حمرا ثمّ ترتدّ نورا
وثار حولي الدخانُ المحموم يطوي الستورا
فُمزّقت حجبٌ كانت لليالي قبورا
وحرّكت تحتها أشلاء الزمان صدورا
تململتْ في أنين ثم استجابت شعورا.

على لسان الدخان الممدود شُقت دروبُ
حفّت بها راسيات فمجهل مرهوبُ
تدفّ فيه أبابيل في السحاب تذوبُ
كأنها حدْسُ خيّال في الأثير يغيبُ
أو زورق من غبار تموت فيه الطيوبُ
مجدافُه في يدٍ رعنا يستبيها الغروبُ
حدَتْهُ عبر الدياجي وهو الغريب الغريبُ
إلى الصليب الذي يخشى رسمه المنكوبُ.
هناك امرأةٌ تحت الدجْن تحضُن طفلا
على مُحيّاه نورٌ يشقُ فيه سُهْيلا
مبلورٌ في إطارٍ كالفجر منه أطلّا
يمتصّ إصبعه كالمسيح عزّ وجلّا
لوهاج تقطُر عيناه كالأزاهير طلّا
وإن تراءى ضحوكاً فنجمُ بشرٍ تلألا

يبكي ويضحك في آنٍ.. ويْحه كيف مَلا
وأمّه هل بتولٌ تهدهدُ اليوم طفلا؟

شقيّةٌ أرضعته من ثديها كأس سُمّ
وما أرادت له إلاّ منهلاً قد ينمّي
وهي البريئة إن أخطأت.. كذا الحبُّ يُعمي
ومهجةُ الأمّ ديْرٌ أنعِْم به ديْرُ أمّ
وهْم من الأمْس يبقى مقدّساً. أيُّ وهْمِ؟
نقول عنه امتثال والحقُّ ربْقةُ جُرْمِ
ما ذلك الطفلُ إلاّ من فرعه طرْحَ إثمِ
جاء الحياة مساقاً على لفائف غيمِ.

حارت به في قُماطٍ من هلهل النّسجِ بالِ
وهمْهمتْ في حسيسٍ.. ربّاه! رفْقاً بحالي
هل ذلك الطفل إبني أم أنه ابنُ المُحالِ؟
فشكله ليس شكلي لكن قبيح الجمالِ

في عينه لمعانٌ تخافُ منه الليالي
وفي بكاهُ رنينٌ يموج بالأهوالِ
أوْدعته في حريرٍ لامئزرٍ هلهالِ
فكيف يبدو غريقاً في هذه الأَسمالِ؟

إبني أأنكر إبني؟ لاذا الضلالُ المبينُ
هبْه غريبَ المُحيّا أما بصدري يقينُ
بل فلذةٌ... فلذةٌ من قلبي ومنّي حنينُ
تلك الوداعةُ فيه وداعةٌ لا تكونُ
والابتسامة حمراء في مداها الجنونُ
والدمعةُ البكر إن سحّت لا تراها العيونُ
مُعصّبٌ بالذهول المسحور ذاك الجبينُ
كأنّه خاطرٌ أو مجنّحٌ مسجونُ.

يبكي لنظرة عينٍ ولايملُّ البكاءَ
فما رأته عيوني إلاّ وسحّت رثاءَ
أنيسه الليلُ ألقى بعُبّه الأهواءَ
وعند غرفته القفراء الحياة تراءى
مواكباً من تهاويل الفكر تطوي الفضاءَ
يقلُّ منها ملاكٌ أحلامه الخضراءَ
إلى سماء الأماني حتّى يملَّ السماءَ
فتطفئ الريحُ شمعاً كان الصباحَ مُضاءَ.

لم يقصد اللهو يوماً إلا وعادكسيرا
كأنه ليس طفلاً يجابهُ المقدورا
كم صاح: أمّي ارحميني أُمّي جُرحتُ شعورا
من قال إنّي ضريرٌ؟ أُماهُ لستُ ضريرا
أنا الحسيرُ سأبقى مدى الحياة حسيرا
ليسِ الأقاربُ مني.. عاث الأقارب زورا
طيرٌ على البيد يبكي جناحه المكسورا
وحوله بعضُ ديدانٍ أمعنتْ تشهيرا.

برْمتُ بالحلم أحدوه ثم يفلتُ منّي
فلستُ إلاّ شعاعاً مضيّعاً تحت دجْنِ
ترى الضفادعُ مستنقع الحياة فتزني
أمّا الطيور فواهاً لها غداةَ التجنّي
شيعتُ عهد صباي على نعوش التمنّي
إلي الشبيبة أمشي إلى خرائب سنّي
ومهْجتي تتنزّى جُرحاً، كذلك جفْني
وبين عقلي وصدري ما بين قلبي وعيني.

وغاب في حُجب الظلّ
كالشعاعِ الصريعِ
وأمّه شبه ثكلى
بقلبها المصدوعِ
أين ارتحالك عنّي
ما من صعيدٍ مريعِ
صاحت وصاحت وداعاً
وداعَ قلْبٍ هلوع.

الرؤيا الثانية

تفتّحتْ سُبلٌ في الدخان تُغري الحيارى
ولوّحتْ بقناديل الموْت أيدي السّكارى
ودار بالكأس شيطانٌ لَم يكن خمّارا
ومن سُلاف الفناء المقيت غذّى الأُوارَا
رأيته فوق أطلال الدهر يَبكي الديارَا
فتى يُراقبُ هولاً بأرضه ودمارا
والشرّ يقذف في صدر الخيْر سُلاً ونارا
فلا يحطّ بربْعٍ إلاّ وأضحى غُبارا.

وتلك جُمجُمةٌ يمتصّون منها الدماءَ
تدافعوا نحوها قدْماً وارتموا أشلاءَ
فمالهم قد أهاجُوها شهوةً شهّاءَ
وقهقه الموت هُزءاً وجندل الأحياءَ
تلك المناجلُ شؤمٌ شؤمٌ يثيرُ الفناءَ
إن تفْجروها بأرضٍ عفت وصارت هباءَ
آآدمُ اليومَ إبليسٌ شنّها نكباءَ؟
أم أنه ملّ طول الحياة.. ملّ البقاءَ؟

دُبٌ ونسْرٌ وسبْعٌ وهرّةٌ رعناءُ
تضمّها شبه حكّامِ غابةٌ سوداءُ
وفوق مقبرةِ الليلِ حيّةٌ رقشاءُ
إن هوّم النسْرُ قالَ الباقون إنّا سواءُ
ومزّقوا جسمه إرْباً والسّلاحُ قضاءُ

وليمةٌ وضحايا العدوان فيها غذاءُ
أقامها بعض أوشابِ خيرهم إيذاءُ
يغذوهمُ العلمُ شراً والشرّ داءٌ عياء.

هذي العذارى وتلك الأطفالُ فوق الطلالِ
ضُمرٌ يموتون جوعاً صُفْرٌ كميْت الذُّبالِ
كساهم الثلْجُ في الليل شاحبَ السربالِ
وشرّدوا في العراء المقرور إثر السؤالِ
غوارثٌ حلمها الأعلى كوبُ ماء حلالِ
جاءوا الحياة أسارى مضيعي الآمال
لم يذنبوا لكن الذنْب ذنبُ هذي الليالي
ذنبُ الذين عليهم جنوا بومضة آلِ.

بجرْم غيرهم يقضون الحياة انتحارا
هم أبرياء ضعافٌ هم أنقياء عذارى
كمهجة النور قدساً كالياسمين ازدهارا
هبّت عليهم دبور وبعثرت أزهارا
ما برعمٌ حين ألوى بغصنه وانهارا
أو زهرة لم تصارع لضعفها الإعصارا
إلاّ رموز ستبقى الدهرَ ذكراً مُثارا
لتذكر الأرضُ مأساةً بعد أن نتوارى.

في الكوخ بالغابة الحمرا أهرق الدمَ ذئبُ
وتحت فكيه ألقى حمامة الدوحِ خطْبُ
تئن كالنسْم عبْر الأفنان حين يهبُّ

وصدرها هل ضريح عليه نار تشبُّ؟
وقلبها هل رفاة فيه الحياةُ تدبُّ؟
بل هيكل من سقامٍ وهيكلِ السُّقْم رحْبُ
وريقها هل رحيق ثَمَّ الغريبُ يُعبُّ
لابل هو السمُّ لكن سمَّ الحمائمِ عذْبُ.

وكمْ وكمْ من شريدِ
تحت السماء حريدِ
ألقت به في الدياجي
كفٌّ الزمان العتيد
قالوا له أمّكَ ماتتْ
ليلَ الهجومِ الشديدِ
فراح يبكي ويبكي
كضائع مفقود
ويلعنُ الحْربَ جهْراً
وشؤمَ هذا الوجود.

رأى هنالك أسراباً من يمامٍ تطيرُ
وفوق أجنحة الغيمِ لاح قطٌّ كبيرُ
يمدٌّ نابيه فيَ أحشاءِ بكتها الصخورُ
للريح صلْقٌ وللشجّاج البعيد هديرُ
من ذلك التعْسُ يا أرضُ؟ ذَاك طيْرٌ صغيرُ
فرْخٌ هوى عُشّه فوق السفْح وهوَ ضريرُ
فعضّه القطُّ تحت الجناحِ بيْنا يسيرُ
وسحّت السحْبُ ناراً
لله هذا الكسيرُ.

وكان فوق اللهيب الممدود يرقص طيرُ
وجُنْحُهُ كشراعِ الأحلام لايستقرُّ
قالوا عليه مكرّ وقلتُ عنه مفرٌّ
فوق اللظى لا ترفُّ الأطيارُ لكن تفرُّ
تفرُّ من رْبقة الشرّ والشرور تكرُّ
إن الوجودَ طريقٌ والخلق منه تمرُّ
إلى الظلام الذي ذكراه الأليمةُ تعرو
أثَمّ يبقى وجود أم النهايةُ سرٌّ؟

كذلك اهتاجَ
عبر اللجّ موجُ الحنينِ
وعاد فوق الدخانِ المَسلولِ
صنْو جنونِ
إلى الجزيرة يسري
في زورق موهونِ
كهاربٍ من أهاويل الحربِ
تحت الدجونِ.

الرؤيا الثالثة

وسار في الشاطئ الداجي مستثار الفؤادِ
وفوق كفّيه تمثالٌ عابرُ الميلادِ
لهفانُ يهفو إلى الدنيا كالمخبّل صادِ
وشأوه ليس شأو الأميال والأبعادِ
بل شأو كلِّ غريبٍ في بؤرةِ الأحقادِ
يتوق للخمْرِ صرْفاً وتلك خمر المعادِ
خمرٌ مشعشعةٌ في الكؤوسِ بين الأيادي
لو تمسُّ الصخْرَ تُنسيه الكأسُ قلب الجمادِ.

وحَطَّ في حانةٍ خَضْرا مُجهدَ الأعصابِ
يهذي.. «إليَّ بكأسٍ قد كدتُ أطوي كتابي
حتّام ساقيةَ الحان تختبي أكوابي؟
وفيَّ عِرْقٍ طرىٌّ يسيرُ نحو اليبابِ
حرّانُ لاكأس في كفّي غيرُ بعضِ الترابِ
حيرانُ لانجم في أفقي غيرُ لمعِ السرابِ
سدمانُ لاخدْن في حاني غيرُ هشِّ الذُّبابِ
قضيتُ عمري وأيامي
في صدىً واغترابِ».

الحلم

وداعب الجفن حلمٌ
حُلْمٌ حريري الجناحِ
وفوق رابيةِ الوردِ
في المدى الصدّاحِ
رأى فتاةً
وراء الأشجار فوق الأقاحي
تشدو كناي رخيمٍ
يحدو رِكاب الصباحِ.

أغنية

هزْهز الندى
حالم الشجرْ
حينما بدا
موكبُ السحَرْ
فارقصي على
نغْمةِ الوتْر
واشربي الطلا
يا ابنةَ القَمرْ
هذه الرُّبى
جنّةُ البشرْ
ريحُها صبا
نفْحُها عطِرْ.

كلُّ ما هنا يُبهجُ النظرْ
من أزاهرٍ تنثُر الدرْر
أو مجنّح أشقر الشعَرْ
فوق عشّه شاحب البصرْ
يسأل الصّبا أين أنتظرْ؟
كيف تنتسي ناغمَ الذّكَرْ؟
أين موعدي في رُبى الزهَرْ
تحت أيكةٍ لفّها الخفرْ
في غلالةٍ صانها القدرْ
ثُم يلتقي بعدما هُجرْ
وسط مرْجةٍ زانها الخضَرْ
بالتي بكتْ عهد من غفرْ
آه مُهجتي كدتُ أحتضَرْ
أين مؤنسي أين ينتظرْ؟
شفّني الأسى، شفّني الضجرْ
والهوى الذي عرْقُه انصهرْ
تحت مجمرٍ عارم الشررْ
كلُّ ما هناً يبهج النظرْ
غير أنني كدْتُ أحتضرْ.

وكان فوق الضباب المنشور هودجُ نورِ
يُقلُّ رباً فتياً إلى عشاش النسورِ
فشاهد الرؤْدَ عُريانةً أمام الغديرِ
كهيكلٍ من عطورٍ في قمقمٍ مسحورِ
فقال ياربٌ أنزلْني من سمائي الطهورِ
إلى الطريق الذي لحْتُ فيه ظهيري
واجعلْ لصوتي رنيناً يبزُّ صوْتَ الطيورِ

إلى على الأرضِ حُلْمٌ
مهيّاً للظهورِ.

صحا وفي عينه دمعةٌ كجذْوة نارِ
مازال في الحان والكأس فارغُ الأغوارِ
فأين أعراسه اللائي كُنّ فوق الجواري
يسبحْن في أزرقٍ يستريح تحت الدراري
حلْمٌ مع الصّحوِ ولّى
على سرابِ الخمارِ.

وراح يزْعقُ ربّي.. ربّي أما من شفيق؟
قضيتُ عمري وحدي حتى انتهاءِ الطريقِ
كأنّ فُلكي غريقٌ وما أنا بغريقِ.
بل طائفٌ راعه الموتُ بعد لمعِ البروقِ.

طوّفتُ في بُور الدنيا حاملاً قيثاري
فعدتُ والحقُّ في صدري غُصّةٌ من نارِ
ونحنِ في عالمٍ مفتونٍ بداء القمارِ
يسير نحو الفناء الرهيبِ نحو الدمارِ.

زوارق في مساريب الليل تسري الهوينه
الجنُّ والحنُّ في ركبها تشدُّ الأجنّه

إلى الخضمِّ الذي غابت فيه أرواحُهنّ
وخبأته مغاليق العلْم حتى جهلنه
وثَمّ شاهدَ في الركْب طفلةً بين جنّه
تجرّها فوق أشواك الإثم تحت الأسنّه
والبرعُمُ البكْر في جوفِ الجنّ بكْراً مضغنْه
لله عَرْفُ الخُزامى يفنى بجوْف الدُّجنه

وفرّ من حلْقها طائرٌ جريح الجناحِ
مُخبّلٌ يتلوّى من ندْبةٍ وجراحِ
رآه فارتدّ مذعوراً منه خوفَ افتضاحِ
من ذلك الطيرُ يا أرضُ
شاحب كالصباحِ؟

يتوقُ للأرضِ آناً وللغمائمِ آنا
وليس يدري.. أينسى جُنحه نسيانا
أم يهجرُ السُّحْب أحياناً والثرى أحيانا؟

يهزُّ جُنحيه في رعشةٍ تهزُّ الضلوعا
ويرُسلُ الدمع صبّاباً في الفضاء هموعا
معذّبٌ ردّه الشوْكُ كالصريع صريعا
أمامه البحْر ممدودٌ لن يصدَّ جَزوعا.

...   .

هُزّ الجناحَ وطرْ ياعصفورُ واشدُ الربيعا
وانسَ الزمان الذي ولّى تنس عهداً فظيعا
وافْجُرْ ينابيع نجوانا تلْقَ فجراً رضيعا.

... ...

وشقّ صدر الدخان المسلولَ فرخٌ صغيرُ
وراح يضربُ في الجوّ جُنحَه المكسورُ
والأرضُ تصرخُ عُدْ.. عُدْ.. هناك قطٌ كبيرُ.

... ...

«إيه اخرسي أنتِ يا أرضُ مجهلٌ وصخورُ
والعالمُ الرْحبُ جوفُ الفضاء ذاك الأثيرُ

هُزّ الجناحَ وطِرْ في البراز ياعُصفورُ
لاتخش شيئاً فما في الأجسام إلاّ القشورُ
والطائر الزيْفُ للأرضِ والأثيري يطيرُ»

... ...

دعْ عنك خوفك إنّي فوق الغمامِ أميرُ.

وقبل أن يصل البرج خرّ فوق الترابِ
فأقبل القطٌ يجري مكشّرَ الأنيابِ
ومدّ في صدره ناباً أسوداً بعد نابَ
وراح ينهشُ قلباً مُضمّداً بالملابَ.

وراعه ضيعةُ الطير في ربيع الحياة
وعشّها الهشُ كابٍ مبدّدُ الذرّاتَ
يئنُ في صلفٍ من صفْع الرياح العواتي

مُعْصفرٌ يستميلُ الديدانَ والحشراتِ
كأنّه زقٌّ خمْرٍ في عالم اللذّاتِ.

... ...

وفرّ من ربقة الموت تحت جُنحِ الظلامِ
وراح يسبحُ في لُجَّ غامرِ الموج طامِ
كزورق من عبيرٍ ملطّخٍ بالرغامِ.

الرؤيا الرابعة والأخيرة

وفوق رابية الشوك نام.. نام الكسيرُ
على فراشٍ من اليأس لفّه التخديرُ
وملءُ أجفانه أحلامٌ سفتْها الحرورُ
ماتت عذارى ولم يقرعْ ليلَها الجهْمَ نورُ
وهبّ ريح من الغيْب ساحرٍ معطورُ
وداعب الجفنَ حلمٌ حُلْمٌ شَباه الحريرُ
فلاح طيفُ المسجّى ترنو إليه الطيورُ
كأنه الحلم والكون عالم مسحورْ.

وجاء مَلَكٌ ترتمي عليه الزهورُ
مجنّح تحت جفْنيه عبقرٌ تستثيرُ
يسير في ظلّه نجمٌ زاهرٌ وبدورُ
والندُّ والرَنْدُ فوّاحٌ والفضاء عبيرُ
كبسمةٍ حلوةٍ لفّها المدى المخمورُ
وطائرٍ هزّه الغيبُ واحتواه الأثيرُ
يسير والطيب عربيدٌ والهوا خمّيرْ.
كأنه دمعةُ الفجرِ والفراش يطيرُ.

مشى إلى النائم الساجي مشية الأحلامِ
وهزّ منه حطاماً مصفّداً بالحمامِ
وارتاع لمّا رآه يمجُّ عذْبَ السّلامِ
وفوق كَفْيه قيثارٌ مدّه في احترامِ
وقال.. خُذْه وهزهزْ به ضلوعَ الغمامِ
ظمأتَ ياصاحِ فاجرعْ منّي مدامَ المدامِ
إنّ الأنام عبيدي وأنت ربُّ الأنام.

إليك قيثارتي فاعزفْ أعمقَ الأنغامِ
وطرْ مع الريحِ فوق السحابِ طيْرَ الهوامِ
ودغْدغِ الأرضَ ياشاعري بسجْعِ الحَمامِ
فما على الأرضِ إلاّنا من سنىً مترامِ.

الشاعُر الفذُّ في دنياه نبيٌّ جديدُ
له رسالةُ مبعوثٍ آيها التجديدُ
منّزلَ الوحْي غنِّ الحياةَ فاليوم عيدُ.

فصاحَ: عيدٌ وفي قلبي مأتمٌ وعديدُ؟
فكم من شعاعٍ تلألا قصدُه الموعودُ.
وكم شراعٍ توارى وقلبه معمودُ.
إنّ الأماني سهامٌ وجلُّها لا يعودُ
كأنّ قلبي حلمٌ بهيكلي مؤوودُ
لمن قصيدي؟ حرامٌ أن يُستذلَّ قصيدُ.
أللْورى؟ والورى أُذْن قلبها جلمودُ
أَم للزمان؟ وخُلْدُ الزمانِ حلمٌ بعيدُ

أنا هزارٌ هزارٌ فردوسُه مفقودُ
لو شاء منّي خلوداً لفاح منه الخلودُ
أوْدى الزمانُ بأحلامي والزمانُ كنودُ
وقيدَ اللهُ أوتاري غير أنّي عنيدُ
أبيْتُ إلاّ انعتاقاً فكان لي ما أريدُ
إنّ السماء سمائي والخلق تحتي عبيدُ.

قيثارتي لاتلوميني إنّ قلبي حديدُ
تجمّد الدمُ فيه إذا دمائي جليدُ
كفرتُ بالبْيت أبنيه والرياحُ تُبيدُ
وكلٌّ مالي مِن الدنيا معبد مرصودُ
أصنامه من قرابينَ ربُّها عربيدُ.

ربّاهُ.. إن الهباءَ المجنونَ قلبي الفقيدُ
رفقاً به وقرابينَ كم حداها شهيدُ
كانت كأضغاث أحلامٍ قبضُها منشودُ
اليوم صارت هباءً لكن هباءٌ عنيدُ!

وذاب وسط الدخانِ المسلولِ
ذوْب الأماني
ورحْتُ أسأل عنه عينيّ
هل تريانِ؟
لقد تلاشَى بعيداً
وراء عمْرٍ فان.

إذا بقيثارةٍ في يدي كقلبِ الزمانِ
شمطاءَ تسخر منّي ومن دموعِ الهَوانِ
وتلك مَدفأتي ارتاعت فانطفت في ثوانِ
وها أنا الليل في غرفتي كئيبُ الجنانِ
فلا أرى ظلّه

بيد أنّه
قرباني.

النشيد الأول

(١)

رقصات مذبوحة على رف الزوال
وأنين حيرة تحشرج تحت عباءة المساء
ومنديل ناعس تبدده فلولها أيدي الرياح
وكأنه أشباحا تمور في الظلام
وشريد أنفاس لطخ في الليل رائحة الفضاء
وبكاء تخنقه أي نافثة تصطخب مع الهواء
وكرة تدانت حلقة فوق التراب
الندى يسيل سيل الصدور ثم قرأنا
والصمت يجمد كالثلوج على الجبال
ما للمساء يصبغه الفناء
يا للمساء ؟ ما للمساء !!

الجزار ١٩٦٤

ماتت تحت ضوء القمر

يوليو ١٩٤٩



في قبة مهجورة برجي الخرب
وبه غراب ما يزال
يشحذ المنقار شحذة كل عشية أو ضحيه
أبدا يدفن بجنحيه أشواقه في ظلمة الهواء
ويزيل أسمال النهار
ليزج أستار المساء
أبدا ينفض في الكتاب
وبلقنه الناقوس أوراده القعاب
تستدعي الصحراء أشباح المساء
فتلوح لي في برجي المهجور ثمة مرتدى
وبجانبي الفرشاة واللوحة الصماء ومعزفي
وجماجم من جوقة ديدانكم لم توجب
خلف الخشب لحنا مجمرا في معطفي

النشيد الأوّل

I

رقصاتُ مذبوحٍ على رفّ الزوالْ
وأنينُ قُبَرةٍ تحشرجُ تحت عمدانِ السماءْ
وصهيلُ ناقوس بعيدْ
وفلولُ أشباحٍ تساقط في الظلامْ
وتهبَّ أنفاس لها في الليل رائحةُ العفاء
وتكاد تخنُق أيَّ نافجة تضوعْ
النورُ يسعل في الذُّبالْ
والصمتُ يجمدُ كالثلوج على الجبالْ
ياللمساء، يكادُ يصبغُه الفناءْ
ياللمساءَ.

II

في بقعةٍ مهجورةٍ برجي الخربْ
وبه غُرابي مايزالْ
متشنّجَ المنقارِ ينهشُ لحْمَ تمثالٍ غضيضْ
أبداً يدفُ بجنحه المكسورِ في طلْقِ الفضاءْ
ويزيحُ أسمال النَهارْ
ليزجَّ أستار المساءْ
أبداً يغمغم في اكتئابْ
ويلقّن الناقوسَ ألوانَ النعابْ
ويثير في الصحراء أشباح المساءْ

فتلوح لي في برجيَ المهجور ثمّة مرقدي
وبجانبي الفرشاة واللون الطريفْ
وجماجمٌ من جوقتي لهياكلٍ لم توجدِ
خلْف الضباب لمحتها فجمعتها في معطفي.

III

الآن ما هذا السكونْ
مابالُ ناقوسي يموتْ
أجنازةٌ؟
أم تلك أطياف المنونْ
رقدت ببرجي والدجى للموت قوتْ.

أنا والطللْ
والنفس تصرخ من ملل
ما بعد مسجور السكونْ
هل ثَمّ زوبعةٌ تكُون
وحدي أخوضُ غمارَ أوحالِ الوجودْ
وحدي أحاولُ قبْض أطباق الفضاءْ
وأمدُّ أزهارَ الطفولة بالدماءْ
أأنا كأحلامي هباءٌ في هباء؟
أأصير كالفقاعة الجوفاء في حوْضِ البشرْ
والرغوةِ السوْداءِ تذهبُ بالقذَر
وفواكهي ماذا جَنت حتى تجفَّ وترتمي
ماذا جنت؟
البرْجُ علِّق في السحابْ
كرسومِ ديْرٍ دارسٍ

ووراء أعمدة الضباب ظلالُ أيامي تلوحْ
وخطوطُ رسَّامٍ على لوحٍ تُغشّيه القروح
ستذوب رغم مشيئتي لو بعد حينْ.

IV

هذي بقايا من حياتي أو حطامْ
صورٌ لها في النفس معنى ليس يجلوه الكلام
فلمنْ أورّثها ومن ذاك الذي منّي قريبْ؟
إني بعيدٌ في مكانٍ ليس تُبديه الثقوب
الظلمةُ البيضاءُ تحجُبني وفي نفسي أجوب.

V

ما بعد مسجور السكونْ
هل ثمّ زوبعة تكون؟
مَنْ مَنْ وريثي؟ من يكون؟
يا أرض أنت مغارةٌ بك بعضُ ديدانٍ تدبٌّ
وغذاؤها من قوت مائدة البِلى
لحمٌ وعظمُ
أو ليس فينا ثائر في صدره نارٌ تشبٌّ؟
أو ليس فينا شاعرٌ ناموسه فكرٌ وحبٌّ
أو ليس فينا من يصيح.. وراء هذي الدجْن شُهْبُ
أو ليس فينا من ينادي ها أنا عقل وقلْبُ
الدخْنُ لوّث أفْقنا
وطغى وقلبُ النور جدْبُ.

VI

برجي القديمُ ومعزفي
في مهمهٍ بُرجي القديمْ
وتراثُ أنغامي بصدري الأجوفِ
أصداءُ لحنٍ لاتدوم
وبجانبي تغفو الظلالُ ومرقدي
متهدّمٌ كالبرج، هدّمه الزمنْ
وهناك لي صورٌ معلّقةٌ تئنّ من الوهنْ.
ماذا بها ؟
الموتُ يخنُق ربّها
والصمتُ يعصُر قلبها
حال الصباغُ ولُوّثت بقعٌ من الألوان شتّى
وتحوّلت لعناصرٍ تبدو مجرّدةً وتبدو
للعيْن عاريةً ترامت في وَنَى فانزاح بُرْدُ.

VII

العُرْيِ والأصباغُ باهتةٌ ففوضاها غريبه
والبرجُ عُلِّق في الفراغ وموقدي يعصي لهيبه
أيُّ احتضارْ
عصر النهار
في قمقمِ
أىّ اصفرارْ
نفث الغبار
كالأرقمِ
مازلتُ أحتضنُ الفراغْ
مازلتُ أعتصر الدماغ
فوراء تجويفاتها ماضٍ مخيفْ
أبداً تهدّدني جرائمُ أطلقتْ حولي الطيوف
ماذا جنيت – يدي– ماذا قد جنيت؟
وخير من هَذا الشقاءُ إذا أثمت؟
أخطيئةٌ وحسبتِها حقاً يطيبُ ومَا شعرتِ؟
أخطيئةٌ؟
قولي معي ماذا فعلتِ؟

VIII

حرّيتي أنا ذا أنادي
هل أنا مازلتُ حراً؟
أفما يزال بقبضتي يُطوى الزمنْ
دهراً فدهراً؟
أفما يزال ليَ اختيار عقائدي مهما تدجّت؟
أأعيشُ حراً في غدي
إنْ قبله يومي تفتّتْ؟
حرّيتي
أتركتِ لي خبزي وديني حين يفلت؟
أأردُّ أمسي دُخْنةً
أبقبضتي أكفانُ أمسي؟
أليَ ارتيادُ البرجِ في شظف الحياةِ وجذْبِ نفسي؟
حرّيتي
أنا ذا أنادي
هل أنا مازلتُ حُراً؟

IX

البابُ تخبطه الرياحْ
هل زائرٌ ذا؟ أم غريب؟
ماذا يريدْ؟
لادفء عندي ليس برُجي يُستباحْ
للصوص ليلٍ لايغيبْ
ماذا يريد؟
وتساقط الظلُّ الكثيفْ
أرذاذ حُلْمٍ أم قطوف؟
وإذا انفجى البابُ المسمّرُ في الأفُقْ
زحفتْ سماديرُ الشفقْ
ولمحتُ غرسَ طفولتي في قُمقمٍ.
ماذا أرى؟ ماذا أرى
تابوتُ فجري يحترق.

X

وإذا القصيد جنائزيّ اللحْنِ موصولُ الألمْ
ورفيفُ أجنحة النعوش يهزُّ أشرعة العدمْ
وصدى التأوّه في الظلام معانقٌ روحي الكئيبهْ
ويدي تمرّ برْعشةٍ فوق الغمامات القريبهْ
وكأنّ في برجي شتاءً تنزوي فيه الرطوبهْ
ماذا به؟ ماذا به؟
برجي يموتُ به النغمْ.

النشيد الثاني

I

فِي الليل والقمرُ الهزيلُ يدبّ كالطفل الرضيعْ
والكون فيَ بطنِ الدجنّة قلب مجروحٍ صريع
والأنجم الصفراءِ بعضُ حجارةٍ شتى الصدوع
والصمتُ محترقُ الخطى
والخوفُ ينهشُ في الضلوع.

في الليل والظُلَمُ الرهيبةُ كالعباب تدافعُ
والريحُ صحراءٌ توهّجُ والفضاءُ بلاقعُ
والدّجْيةُ الصفراءُ تشهق والطيوف تصارعُ
والحجرةُ الخرساءُ تابوتٌ عليه ضفادعُ.

في الليل يرقص كل مذبوحٍ على قبر الجمالْ
ويحلقُ المجروح في دنيا وراء دنى الضلال
فيرى نهاية يومه أمساً عتيقاً في الليال
كفنٌ ورمسٌ أبيضٌ ينسى به غُمَرُ الملال.

II

ياليلُ أنت مطية الفكر الشرودْ
ونجومك الخرساء تعرف ما يريدْ
وضلوعك البيضاء بيدٌ خلف بيدْ
كم يختفي ياليلُ فيها من شهيد
أحَطَمْتَ فانوسي الصغير؟
أدفنتَ كوبي في الحفير؟
ياليلُ قلْ.. ما من مُجير
ما من مُجير.

III

أعمي بعكّاز يسيرْ
وبكفّه المصباحُ أعمى لا ينير
أفيبحث المسكينُ عن شيء كبير
أم أنّ بُغيته ضرير؟
ألغايةِ ذاك المسير؟
ألغايةٍ؟
ويْحَ الضرير.

الليلُ والأبدُ البعيدُ يخيّمان على الطريقْ
والصمتُ يكرعُ في قوارير الدماء من العروق
والخوفُ يقذفُ حفنة الأضواء في بئرٍ سحيق
والعابر الأعمى غريق.

IV

يا أيّها الشيخ الضريرْ
إنّ الحقيقة في الضمير
والرفْش يعلم والحفير
في مهجة النورِ المرقرق حيّة لون المساءْ
وملاءة الأزرار تُخفي بعض أهوالِ الفضاء
والأنجم العذراءُ منها ما يشيبُ من الضياء
وتموت موتة طائرٍ قبل الشتاء.
الريح تعْول والحيا يهمي ويسرب في الدروبْ
والشمس خلف خمارها تغفو ويرتعش العروب
قد كان قبل العاصف الغضبان يستاف الطيوب
الآن شُرّد في الفضاء الرْحب مبتعداً حريب.

V

ياشمس هِلّي وارقصي ياذُجية العُقْم الرهيبْ
وتقلبّي فوق الوسائد وانشري الثوب الخصيب
وتعانقي مع قمّة الجبل المهيب
وتلاعبي فوق الكَثيب
ياشمس لاتدعي الغروب
يهوي قريب.

هبط المساء فظله فوق الصدوْر
وسرى العروب بظلّ منهملٍ مطير
وتساقطت غمُر المياه
فتشقّقت قُلل الحياه
والزُّهمة النكباء تعبث في الظلامْ

وتشرّدَ الزغبُ الضعيفُ بلا طعام
وتدحْرجت في هُوّه الذكرى حُطام
لون السخام.

حفناتُ عمري لاتوازن أنملهْ
مَزقٌ على طبق الفناء مَهلهلهْ
أنَا ياإله مضيعٌ في القافلهْ
داست علي عنُقي نعال السابلهْ.

الليل عرّس في الشوارع واستكان له الهدوءْ
وغفت ظلال الحلم في فلكٍ عتيقٍ لايضيء
فلك يئنّ على صليبٍ في حواشيه خبيء
الموتُ يحبو نحوه
لكنّه الموتُ البطيء.

لقفَ الحريدَ إرانُه
فتكسرت صلبانه
وتقوّضت جدارنه.

ياريحُ هُبّي هبّةً ياريحُ لاتذري الدمنْ
واسفي خرائبَ غالها روحٌ خفيٌ مذْ زمن
لا تتركي أثراً به إلاّ ولُفّف في الكفن.

وسع الفضاءُ مقابراً
اليوم ضجّ بما دفن.

VI

فزع الضرير إلي الخرائبِ ثم مال علي جدارْ
لكنيسةٍ مهدومةِ العرصات كلَّلها الغبار
فجثا وأطلق فكره في عالمٍ خلف الستار
فرأى وجوداً كالوجود وليس يحجبه دثار.

دقاتُ أجراس الكنيسة أيقظت فيه الشعورْ
بالأرض فارتسم الخداعُ بذهنه فجّ الظهور
(الله أيتها الشقيةُ ضاق ذرعاً بالنذور
وقد انفجى البابُ العتيق فأوقدي الشمع الطهور.
لاتسألي مَنْ ذلك الأعمي وما دين الضرير
فلغايةٍ ما جئتما ولغايةٍ ما يستجير
لا تحجمي وتقدّمي يا أُخْتُ من خلل البخور)

أوّاه صارت دُخنةً وتصاعدت ذوْبَ الأثير.

مازال يبحثُ عنك خلالَ مسرحكِ العتيقْ
يتحسّسُ الجدرانَ في ألمٍ عميق
ويجسّ نبض النور منتفض العروق
ويصيح: «من لي بالطريق.»

أعمى بصحْن كنيسةٍ مهجورةٍ
يسري كخفّاشٍ يطيرُ ورا سرابْ
قد كاد يذهب في العباب
فارتدّ من حُرَق اللعاب

متحطماً يهذي ولايبكي له إلاّ السحاب.
ويصيح: فرّ وراءها ياعُقم فرّ فلا إياب»
ياريح كيف تمزّقت؟
قالت: بأنياب الذئاب.

VII

وتمدّد المسكين فوق حجارة وسط العراءْ
البردُ ينخر عظمه ويبله خبء السماء
وتكش أفعى تحت عطفيه وتزحف في الرداء
وتمصّ بيض حمامةٍ رقدت فكفّنها المساء.
وأتي الضريرَ مشرّدٌ باديَ العياءْ
وسعى إليه مباركاً فيه الشقاء:
«ياشيخ ليس لنا غطاء
والليل مبترد الهواء
قُمْ قُمْ بنا
فلعلنّا
نلقى هنا
خبزاً وماء
وزجاجةً مختومةً نُقصي بها قرس الشتاء»
«قل لي بربّك ما نهايةُ عمرنا لو قد يطول؟»
فأجابه: «وحيٌ يقول
لو بعد آجالٍ يزول
هل ثَمّ شيء لايزول؟»
«ها ها نهاية عمرنا هذا الأفول
سنضيع ما نحنِ العشيّ سوى رسومْ
ستحكها الريحُ الغشوم
لكنّه العقل السقيم
يخشي الذبول.»

ياشيخ قل لي. قل بربّك ما أتى بك ها هنا؟
هل حكمة ضاعت فكنت لها الصدى
أم أنت تضرب في المدى
سأماً يدحرجك المدى
وأجابه: «إني أفتش عن أنا
ما حكمتي إلاّ يقيني بالوجودْ
لكن عميت فكيف ينساني الصعيد
الآن أبحث عن حصاني. هل يعود؟»
قال الغريب: «رأيته قد كان مطّرحاً بعيد
والريح تعول والحيا يهمي وتلتحم النُهُرْ
شاهدتُ شلْواً عائماً فوق الهطول المنهمر
فتقزّزت نفسي لرؤيته».
فصاح من الغضبِ:
«قلبي تفلسف فابتُذل
حتّى تمرّغ في الوحل.»

وجرى إليه ليرتمي في عُبّه حذر الخورْ
فتهشمّت أضلاعه فوق الحجر.

VIII

في الليل والقمر الهزيل يدبُّ في قبر السماءْ
والكون في بطن الدجنّة مجرمٌ تحت الرداء
والصمتُ محترق الخطى والذئب يعوي في الخلاء.
في الليل والطوفان يقتحم الدروبْ
والأرض تكرع كلّ سيّال غضوب
مات الحبيب.

وتحدّر الماء العطوش وشقّ أنهاراً صغارْ
وتمزّق الشلْو الضعيف وضاع في الحمأ المثار
والزُّهمة النكباء مازالت تهدّم في الديار
والخلْقُ في صحْن الدجى
يتطايرون مع الغبار.


الآن ما هذا السكون
ما بال ناقوسي يموت
أجنازة أم تلك أطياف المنون
وقدت ببرهن والدجى للموت قوت
أنا والطلل
والنفس تصرخ بي ملل
ما بعد سحور السكون
هل ثم زوبعة تكون
وحدي أقرصه أغمار آجال الوجود
وحدي أحاول قصة الطباعة الفضاء
واحة أزهار الطفولة يا لدماء
أنا كأحلامي هباء في هباء

النشيد الثالث
جُثة في عرض الطريق

I

ما هذه هل جيفةٌ تحت الدجى؟
لابل خيالٌ رابضٌ في الليل مقتعدُ الخطى
ألقت به الريح الغشوم على الطريقْ
ودنوتُ منه كأنّني أمشي إلي ماضٍ سحيق
والقلب مكتئبٌ كأنّي لا أريدْ
رؤياه رؤياه الرهيبة ها هنا فوق الطريق.

II

قرُبَت مسافته فبعد دقيقة أخرى يبينْ
وأراه مطّرحاً على هذا الرصيفْ
وأعود أسأل هل تخفّى في الظلام من العيون
أم من خيالٍ آخرٍ
أحقيقة ألقي به فوق الطريقْ
واهاً دنوتُ دنَوتُ منه إذا به تحت الغطاء،
حقيبةٌ ملأى بألغازِ الكوارث والقضاءْ.
هل مرأة مهجورةٌ في الليلَ تنظر للسماء
ما خطبُها؟ ما خطبها؟
افأنزعُ الآن الغطاءَ؟ أأنزع الآن الغطاء؟
أتكون عاريةَ النهود؟ فقد تكون بلا رداء
فتصيح من ألم وخوفْ.
أأفرّ من قدّامها، أأفرُّ من هذا الطريق؟

III

ماذا رأيت؟
رأيتُ ثمّة جثةً تحت الترابْ
ورأيتُ جمجمةً يعفُّ على منافذِها الذباب
كفريسةٍ بفم الذئاب
أسنانُها السوداءُ منشار صدئْ
ماذا رأيتَ؟
رأيتُ مهزلةَ الوجودِ على الطريقْ.

IV

أنا في الظلام كنقطةٍ عبر المدى
أهناك ماينهي القتامْ؟
شهُب السماء كليلة،
وأنا الشقيّ بمفردي أطوي الظلام
الصمْتُ والمصباحُ محترقٌ وأشلاءُ الهزيعْ
وتناوحُ الريح الغشوم ولوثةُ العقلِ الصريع
وأنا أطوّف في الشوارعِ والربوع
أأسيرُ كالراعي على مرعى الزمانِ بلا قطيع؟
والساعةُ الحْدباءُ تلهثُ،
كيف تلهثُ هل تجوع؟
وهى التي قد أثقلت جيبي انتظاراً للربيع
فقذفْتها في ذمّة الشيطان حتى لا أضيق
بالوقت إن طال الزمان وما أزال على الطريق.

V

فـي الشارع المجهول فانوسٌ تغشّيه عنكبوتْ
نسجتْ له كفناً مقيت
فهنا ضفادع بركْةٍ وهناك صرّارٌ يبيت
وتناوش الحشراتِ يبدو عند صُرْصارٍ يموت.

واخذتُ في الأوحال أمشي ناسياً سُنن الحياهْ
وذكرتُ أنّي مجرمٌ لم يْدرِ ما اقترفت يداهْ
أقتلتُ؟
أم سرقت يدي شيئاً؟
ولكن من خفاه؟
سأحاول النسيانَ معتصماً بخرخرة المياه.

VI

كانت هنا كانت هنا
أفأعمشٌ أنا؟ مستحيل.
الآن لا أجد القتيل،
فأين يختبئُ القتيل؟

VII

أنا في الدجى
والشمسُ عارية الشعاعْ
أنا في الدجى
والنور يسطعُ في البقاع
أنا في الدجى
حتى أرى لجريمةٍ خفيتْ ذراع .


أأصير كالفقاعة الجوفاء في ضوضاء البشر
والرغوة السوداء تذهب بالقدر
وبراعمي وإذا جنيت حتى تجف وتنقضي
وإذا جنيت !! ماذا جنيت !!
الريح عاتية في السحاب
ورسومه دير دارس أمسى خراب
وراء أعمدة الضباب ظلال أبالي تلوح
كخطوط فنانة على لوح تغشيه القروح
ستبدو برغم مشيئتي لوحدي صبح والظلام
تستعبدني رغم مشيئتي وأنا أشل كالرخام

الرحيل إلى أصقاع الحبّ الجحيمية

الإسكندرية ١٩٤٩

I

الآن أذكر كيف غابت، كيف غابت في حفيرْ
وأُهيل فوق إرانها الطينُ الحقير
كان الظلامُ ملوّنا، والريحُ هادرة الصفير
والنعشُ يخطُرُ في الدروبْ
تحت النوافذْ.

هذا المساءُ يعيدُ لي ذكرى يكفّنها السكونْ
ويزجُّ في أذُني صراخاً لايطاوله جنون
فتموجُ موسيقاي في صمتٍ، ويخنقني الحنين
يامعزفي، ألنور ماتْ.
وتموتُ أنت، كما أموتُ، وتلك خاتمة القصيد
في غرفتي هذي، وتحت أصابع الصمت البليد
سيشيعُ الليلُ الرفاتْ.

الآن قبل رحيلنا وقبيْل فاجعة الظلامْ
أتعيدُ لي إيقاع أقدام النهارْ؟
نغمٌ أحاول عزفه، فتخضّبُ الأوتارَ نار.
أسمعتَ زمجرةَ العُباب مع الظلام المعْتمِ،
وتلاطم الأمواجِ و السفُنُ الشقيةُ ترتمي
فوق الصخورْ.

الآن أذكُر كيف غابت، كيف غابت كالسرابْ
والليلُ يخنقه الضباب
والزرقةُ القتماء تصعدُ في اكتئاب
وأنا وحيدْ
في غرفةٍ زرقاء كلّلها القتام.
جدرانُها أطلالُ قلب، لاهث، شرب الظلام
وبرأسيَ السكّينُ تمزّقُ ماتبقّى من جُثام
نهشته أشباحُ الوجود.

الليلُ يخنقه الضبابْ
والزرقةُ القتماءُ تصعدُ في اكتئاب
وأنا وحيدْ.
وأكادُ أسمعُ قطةً كانت هنا قبل المساءْ
قربت وضجّتْ بالمواءْ.
ماذا تريدْ؟
لاشيء في بيتي سوى خُبزٍ عفنْ
عجنته آلهة السماء مع الزمن
فلما تموء بمنزلي
أترى أقاسمها الكفن؟
ماذا تريدْ؟

حطمت مدفأتي ففي قلبي الجحيمْ
ومزقتُ أستاري فلْملمها الوجوم
وطفقتُ أشرب من دمي
ودمِي تعكّره السموم
فلما تموء بمنزلي؟
ماذا تريد؟

إنّي لأذكر قطّةً
كانت تموتْ
شيّعتها في هدْأة الفجْرِ المقيت
فلما تعودُ؟
لما تعودْ؟
الآن أذكر كيف غابت في حفيرْ
وأُهيل فوق إرانها الطينُ الحقير
كان الظلامُ مُلوّثاً، والريحُ هادرة الصفير
والنعشُ يخطُر في الدروبْ،
تحت النوافذْ.

II

وافي الخريفْ
فهياكلُ الأشجار تسقطُ في سكونْ
والطائرُ المهجورُ يخنقه الأنين
الليل نهرٌ آسنٌ والريحُ مزمارٌ حزين
نفخته أفعى فوق أعشاب الحزون
فسمعتُ شعراً أسوداً،
وصدى عزيف.

وهجرتُ بيتي وانطلقتُ إلى الطريقْ
عطشان أنشدُ في هدوءِ الليلِ بُقيا من رحيق
قد لوّثته مواكبُ الغرباءِ في البئر السحيق
أنا ذا أعُبُّ وحلقيَ الملهوبُ تُضرمه الحروق
وبدلويَ المخروم جُمجمتي عسى تصلُ الرحيق
أنا ذا أعُبُّ من الوجودْ
سأمَ الوجودْ.

الريحُ مزمار حزينْ
والعازفُ الملعون أفعى لاتبين
ولرجْع أقدامي صدى أمسٍ دفين
فهنا هنا فوق الطريقْ
فقأتُ أحداقَ العيون
ورضعتُ من ثديٍ مهين؟
حبّي، فأرعشني المنون.

III

هذا أنا
سكرانُ في عرض الطريقْ
أتحسّس الجدران وحدي، كالمغرّب في الشقوق
وأسير والمصباح في خَدرٍ عميق
ألقى ظلالَ وساوسي، بقعاً من النور الفتيق
والعطر يصعد في دخان الليل كالنهر الطليق
فأرى وراء الظلّ راقدةً تُحاول أن تُفيق
وتشدّها أيدي الفراغِ فتختفي
في الظلّ كالنغمِ الرقيق.
فخيالُ من هذا
ومن ذا يقتفي قدمي الطريد
وأنا وحيدْ.

وافى الخريفْ
فمآزر الأشباح تسقط في سكونْ
والطائر السأمان يهذي
والفضاءُ يعيدُ أجراسَ الأنين
وصدى عزيف.

الآن أذكر كيف غابت، كيف غابت في حفيرْ
وأُهيل فوق إرانها ذرٌ من الطين الحقير
كان الظلامُ ملوّثاً، والريحُ هادرة الصفير
والنعشُ يخطُر في الدروبْ
تحت النوافذْ.

IV

ثاخت بيَ الظلماءُ في بئرٍ عميقْ
غيّبتُ في أركانه أضغاثَ قلبٍ لايفيق
يحسو خرير الحلْم في نهمٍ وضيق
ويعُبُّ من ثدي السكينة ذكرياتٍ تستفيق
من وهدة الموت المخيّم لَانتظار في الطريق.

ميعادُنا
في الليل خلف كُوى الظلامْ
سأمرّ عبر الشارع الممدود، والمصباحُ يخنقه الظلام
وأدقُّ بابكِ في سكونٍ لا يعكّره الأُوام.

V

بيدي كفنْ.
هذا هو البيتُ القديمْ
بيتي المطوّح في السديم
قد عدتُ عودة تائه،
وأفقتُ من حلمي المَقيتِ، وتحت أقدامي الجحيم
هذا هو البيت القديم
أأدقُّ بابكَ أم أسيرْ
في الشارعِ الممدود، والليل المطير
الغيم يهمي، والرياح لرجْعها عوْلٌ حزين

قولي
أوحدكِ تقبعين على السريرْ
وبشعرٍ من تهذين، ذا نغمٌ كسير
قومي إلى البابِ المغيّب وادلفي
بيدي كفنْ.

VI

تلك الستائرُ ما لها سوداءُ في حلَكِ الغيومْ!
ألقتْ من الشبّاك ظلاً أزرقاً فوق الجَبينْ
وعلى الأصابعِ رعشةٌ من روح فنانٍ رجيم
أبداً يعانق ظلّه ويفضُّ ينبوع الدجون
هذا أنا
قد عدتُ لكن بعد أن ثاخت خُطايا في الجحيم
أتحسَّس الجدران في صمتٍ عقيم
وأمصُّ أظلال السكون.
قد عدتُ في خطوِ الغريبْ
لأراك عاريةً كقلبي حين تغشاه الذنوب
وأصيحُ فيكِ تحسّسي
بيدي كفن.

VII

قد عدتُ أنشدُ طائري
بين الخرائبْ
فطفقتُ أضرب في المدى، والقلب غائب
وأُراقص الموتى، ومصباحي على الجدران شاحب.

ماذا تركتِ لنا، وذا قلبي هزيل الطمْر ساغب
أنا ذا أعودَ إليك، أنشُدُ راحتي بين الخرائب
وبناظري امرأةٌ تُمزّقُ قلبها والعطرُ غارب
وبقربها طفلٌ تقطّعَ رُدنُه يرنو إليها في تثاؤب
ويصيح:
«أُمي في جُثام أزرقٍ تمتصُّ أحشاء السحائب»
وأنا وحيد.
بيدى كفن.

VIII

هذا هو البيتُ القديمْ
بيتي المعلّقَ في الغيوم
قد عدتُ لكن بعد أن ثاخت خطايا في الجحيم
وغمستُ في نهر الفراغ دلاءَ سأمان ضجور
شربَ السكينة وارتَمى سكرانَ في ليل مطير
الريحُ يُدلجُ بارداً، والماء يزحفُ في هدير
والشارعِ الممدودُ كالمرآة تُوعدُ بالثبور
وهياكلُ العرباتِ تحت النورِ كاللقطاء في عرض الطريق.

هذا حصانٌ أحمرٌ بإزاء مصباحٍ قديمْ
قد نام صاحبه وضاع بنومه حُلْم قديم
الليلُ جاء وأمطرت سحُبُ السماءْ
والحيُّ أقفر لاحسيسَ ولا غناء
فلَمَ انتظارك ياصديقْ
وإلى متى يقفُ الحصانُ ينوء بالنكباء والمطر الثقيل
هذا انتظارُ الضائعين
هذا انتظاري.

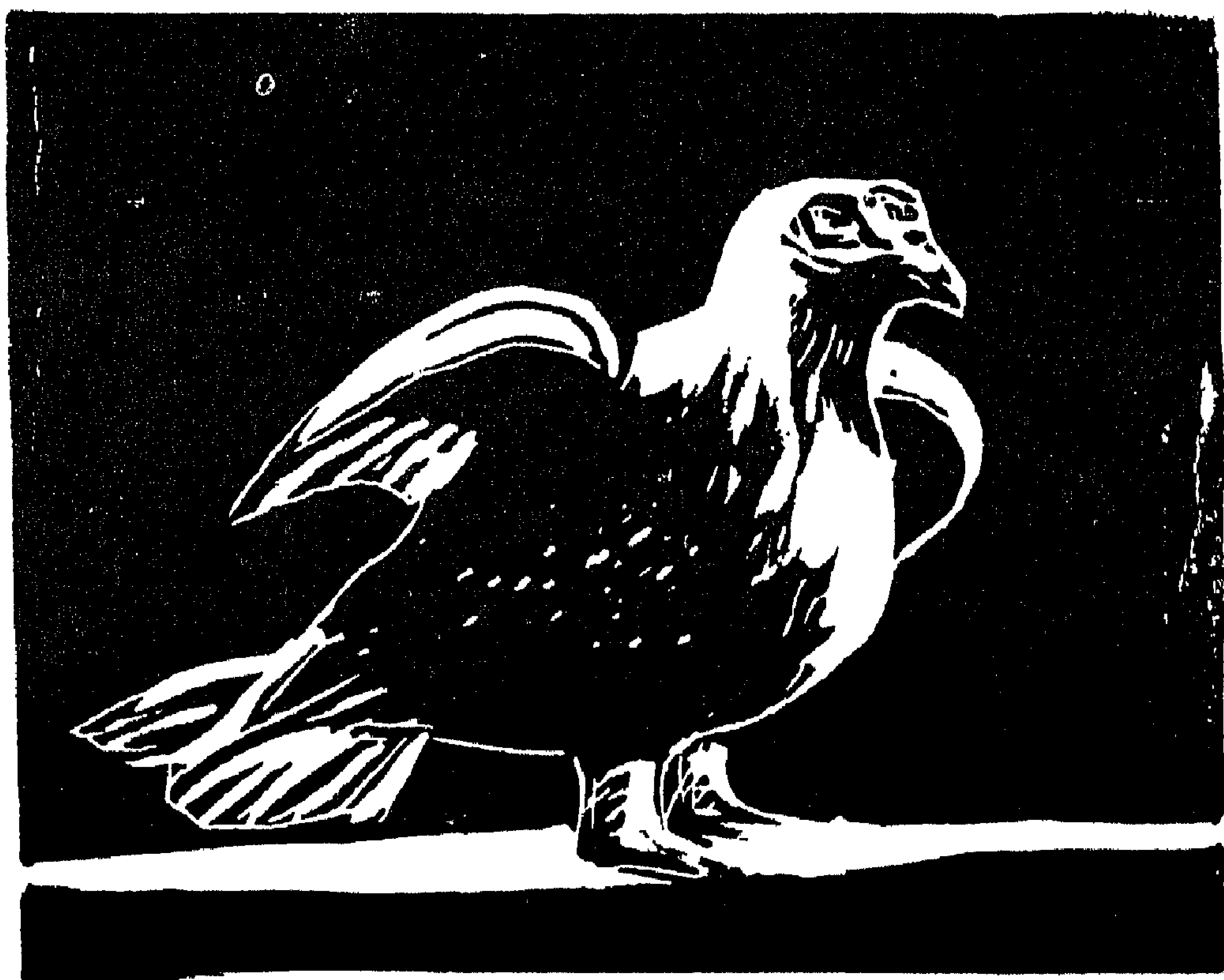
IX

خطواتي الخرساءُ كالأجراسِ في الليل البهيمْ
وحنيني المشبوبُ كالعصفور في قعْر الجحيم
أنا ذا أحاول أن أمدّ أصابعي وأشدّ أطراف النجوم
علّي أرى بيتي القديم
بيتي المعلّق في الغيوم.
قد عدتُ عودة طائرٍ يرنو إلى الأ جواء في سأم وضيقْ
الورد يذبُل في الشتاء
وشتاء نفسي موحشُ كابي الجواء
فلما أسير وأدلجُ في الخواء؟
ألغايةِ، هذا هراء.

X

الوحشةُ السوداءُ تأكلني وجسمي في العراءْ
نهشتْه عقبان الشتاء.
وأنا أدبّ، أماميَ البستانُ منهوبُ الثمارْ
الوردةُ البيضاءُ يسفيها الهواء
وبقربها القدّيس ينظر للسماء.
ألغايةٍ موتي وموتك ياورودْ
ولِمَ الحياة، وفوْرةُ اليَنبوعِ في قلبي وقود
أنا ذا أعودُ، لمن أعود؟

بيدى
كفن.



الروح والرقص

تشييع

I

امرأةٌ تمورُ في السحابْ
وترتمي ممزوقةَ الثياب
عاريةً لاهثةً تهمسُ في شجْوٍ وفي اكتئاب
«أعقابُ عمري حنطةٌ ذابله
وبرعمي ذوى فمن عاجله؟
وها أنا أسير في القافله
إلى طريقٍ يلفظُ السابله.

القفص المهجور في تيه الثلوج السوداء، والليل المظلمُ
ظلمة وجوه الشيوخ، والبرد القارس، الصمت المحلق
فوق الوديان العميقة.، وبين البئر البعيد، والدلْو الفارغِ
المبعوج، حيث يراقص القمر المذبوح نساء شُعث الجدائل
عاريات.
تتهدّل الأثداء على الطريق أعشاباً يابسةً،
وتمتدَ الأذرع البيضاء إلى القاع الرهيب،
وتطول أعناقهنّ، حتّى تلامسَ النجومَ المطوّحةَ في السماء،
وتنزلق الأرجل البريئة في هوّة الوحل اللزج. فأرى هنالك في البئر
امرأة تحاول ستر عورتها. لات حين
فقد صرخت الريح، وتمزّقت تلك الربْطةُ المجرمة.
ماذا رأيتُ؟
امرأتي قد انبطحت بعرض الطريق
كانت تلهثُ لُهاثَ قطةٍ غريبةٍ خلف بابٍ موصد.
وتحدّق فيّ فتتمزّق في حلْقها الذكريات.

بسطت يديها، وفغرت فاها، فلاح عصفور ينبش
أباديد ورودٍ على مقبرة.
وإذا بصوتي الضائع في الصحارى الموحشة،
يعود إليّ صداه.

أيتها السحابةُ الشرودْ
الصمتُ موثوقٌ على النجود
والليل ممدود فلا حدود
ولا حبيبي بعده يعود.
أنا هنا يعضّني الذبابْ
دمي غبوقٌ فضّه الغُراب
قيثارتي طريحةُ اليباب
ومنزلي يحوطه الخراب
برجي معلّق مع النجومْ
ومرقدي في كوّة الغيوم
نامت عليه قطةٌ نؤوم
مواؤها يموّج الصريم.

على سريري عوسج السهادْ
وفي فضائي يصبغُ السواد
رهْطَ عذارى ثَمَّ في حداد
نفشْن شعراً شدّه القتاد
الشّعرُ أبيضُ
والوجوه مصبوغةٌ بصباغٍ أزرقٍ،
والأيدي الناعمةُ مخالبٌ تجرحُ قيمصَ الظلامِ،

وهؤلاء النساءُ،
قديساتٌ يتعرين أمام الربَّ.

إيه أيتها الوجوه الشاحبةُ، أيتها النفوسُ الظامئةُ،
أنا ذا رفيقُك القديمُ في ظُلُمات الغيبوبة،
أنا ذا عُدْتُ.
أبحث عن منزلي فلا أجدُه. لكم طالت هذه الهجْرةُ العقيمةُ،
تلك توابيتُ أخيلتي، عجينةٌ لونُ الغسقِ الرمادي، ودمِ
الزهر الأزرق.
أيتها اليمامةُ الهائمهْ
تخنقك المباخرُ القاتمهْ
الثلجُ والكواكبُ الواجمهْ
تبْلى كما تبْلى الرؤى الناعمهْ
القفصُ المدفونُ في الرمالْ
والموردُ المخبوءُ في الظلال
والعنقُ المخنوقُ بالملال
أكفانُ حُلْمٍ عضّه الزوال.

رنتْ إلى ناقوسي الجريحْ
وطوّفت بمنزلي تصيح:
«أمن الضريح إلى الضريح؟
أمن الأوام إلى الأوامْ؟
أمن الخرابِ إلى الخرابْ؟
أمن الظلامِ إلى الظلام؟
أمن الترابِ إلى التراب؟

II

أيمامتي البيضاء، لا.. لا تقبعي
عودي لعُشك قبل أن تهوي معي
إنّي حفرتُ بلَوحةِ الأموات ساعةَ مصرعي
سأضمُّ تابوتي إلى صدري وأمشي في الطريق
سأعضّ أثداء السكون اليابسهْ
وأمصّ أرحامَ الليالي الدامسهْ
وأسير في تيه القرونِ الدارسهْ
أتحسّسُ الأطلالَ قبضَ الرامسهْ.

III

القمرِ المذبوحْ في لُجٍّ عريضْ
يسعلُ في الظلماء سعْلةَ المريض
كأنّ ينبوعاً من الأسى يغيض
يصرخ ناقوسي صراخ المستجير
يلهبه سوط المصير
سوط الثبور.
أيتها اليمامة الهائمهْ
تخنقك المباخرُ القاتمهْ
عُجي بَبرجي واصلبي أنجمهْ
في هوّةِ الخواطر البائدهْ
وفوق أضغاث الرؤى الجامدهْ
يمامتي راقدهْ.
هوت من السماءْ
كحزمة الضياء
ممزوقةَ الرداء
تنظُر في خوفٍ وفي حياء.

غدُك الجنونُ وما غدي إلاّ المنونْ
غدُكَ العويل وما غدي إلاّ السكون
أبداً تَضجُّ بكِ الرياحُ وتصرخين
أبداً جنازاتٌ ومَيلادٌ حزين.

سأسيرُ أيتّها اليمامةُ في الظلامْ
وأظلُّ أنتظرُ العذارى حين يحترق الغمام
يهبطْنَ من أمسي حطاماً في حطام.

عُجي بأمسي واسكني ظلمتهْ
عُجي بأمسي واشربي كأْبته
قد كنتُ طفلاً شرموا سُرّته
فصرتُ رباً أضرموا لعْنته.

اسكندرية ١٩٥٠

الروح والرقص

(إلى پول ڤاليري)

I

الأُفق الأسودُ والظلامُ الميْتُ،
والتابوتُ، هل تموتْ؟
وجثةُ الحبيب ترتمي هنا،
على الحائط في سكوت.
تسقطُ فوقَ ظلال أحلامي
وقلبي يقضُمُ القنوطَ.
محارةُ الرؤيا تصدّعت
ولفّها الصيّادُ في حنوط
والصدْفةُ البيضاءُ دحْرجتْها
جثثُ الأسماك في الظلام
فبحْلقت عيونها، وشُجّت رأسُها
ألم تكن جثام؟

البيْتُ خلْوٌ والحوائطُ السوداءُ
تعلو قُنّة البحارْ
والخمرُ في نهر السكونِ آسنٌ
جليد سامق الجدارْ
يروي شفاه الزهَر المُدمّى
ولعابَ النور في الذّبالْ
ويرتوي من نفثات مجنونِ
يعضُّ قلبَه الملال

شرابهُ دمُ المساء
لا الماءُ حلا له ولا الرحيقْ
وخبزُه على الموائدِ القفراءِ،
طيفٌ باردٌ رقيق
يجوعُ والقلبُ المدّدُ الأعراقِ
في كوى الأسى الرهيبْ
ينهشُ من فم الذئابِ أضغاثا
غدتْ لجرحه شبوب.

II

امرأةٌ لا كالنساء،
ذاتُ بُرقعٍ يشفّ عن غروبْ
لعطرها الأسودِ فوْحةُ الأشواكِ
في أنفٍ بلا ثقوب
النارُ في قميصها طروزٌ
لايراها من له عيونْ
يشفُّ عن مخالبٍ عتتْ
في بطنها القوراءِ من جنونْ
بالأمس كانت في الطريق تمشي
وهي تعلو البارقَ الوريفْ
والآن تنزوي بمرقص الأشباحِ،
كالعصفور في الخريفْ
أسمعُ موسيقى غروبها،
فهل تُراها تختفي بعيد؟
أم أنها ترقصُ في فراغ القلبِ،
رقصتي مع الورود.

III

الساعة الحدْباء ما لها تسعلُ ؟
النفساءُ تنتحبْ
ألقت على صدري وليدها المهزول
والآلامُ تصلبه
الوقت يذوي في زجاجة الأحلامِ،
والأطيافُ تنتصب
راقصةً فوق الحوائط السوداءِ،
بينْا الليلُ يُرعبه
شعثاءُ كالُحلْم بحدْقةِ الليلِ،
تهاوى بين أذرعي
أحسُّ روحي
في فِحيحها المحمومِ عُشباً فوق مجمرِ
تغتالُ أشيائي.. محارتي
وتنفث الدجْن بمخدعي
وتصفعُ الأبواب،
غبّ أن غشّى المدى عامودُ عِثْير.
دقت وكلُّ دقةٍ
لها في الصدرِ قبّر موحش عميقْ
فهل أجسُّ نبضها ؟
أما زالت تغذّي نبضةَ العروق
كأنها تهمسُ:
«أنت حيُّ أنت حيُّ أيّها الصديق».
نارٌ على صدري
لهيبُها المشبوبُ مسخٌ أحمرُ اللسانْ
لها نشيشٌ خافتٌ
ولي فيها حبيبٌ يشربُ الدخان
راقصتها تحت السماء،
والعصفور كابٍ كاد يَختنقْ

والشمسُ تذوي والرمالُ
في صحراءِ حبّي داسها الغسق
راقصتها عُريانةً أمام الله،
يوماً لستُ أذكره
كانت بصدري ترتمي وتهذي،
«أيُّ طفلٍ شاق منظره.؟»

الطفل ماتَ والمحارةُ العذراءُ
ضاعت قبل أن يغيبْ
وكلُّ يومٍ في الغروبِ أمشي
علّني ألقاه في الغروب
فكيف أنسى؟ كيفَ
والظلامُ الميْتُ والتابوتُ قائمانْ،
في البيت،
والوحدةُ تصبغ الذكرى على الحائط بالدهان؟

IV

طالت رقابُ البومِ،
واعتدت على زجاجِ الهيكلِ القديمْ
وهشّمت ذاكرتي طيورُ الصمتِ،
فانثالت رؤى الجنون.

أمسِ هجرتُ البيت غاضباً،
وعدتُ للغربةِ في الطريقْ
وكان لي عشيقةٌ
ودْدتُ لو أراها تقطعُ الطريق
أغوص في دوّامة
وبعد غيبةٍ أليمةٍ أُفيقْ

رأيتُ جسمي في الطريقِ مطروحاً
وحولي ثُلّة تدورْ
سألتُ ماجرى؟ فأطرقوا
وذاب سؤْلي فى دمي المراقْ
مازلت حياً،
هل حقيقةٌ أنّي أنا، وهذا هو الطريق؟

V

المرقصُ السريُّ صاخبٌ،
والقمرُ المذبوحُ في السماءْ
تطنُّ موسيقى كئيبةٌ
طنينَ عوْلِ الناي في الخلاء
مقاعدٌ.. موائدٌ.. بقايا صحُفٍ
تدور في الهواء
أرى عليها.. في سطورها
عشيقتي الأولى بلا رداء
تعصر ثدييها وتملأُ الأقداحَ،
في زهْوٍ وكبرياء.

VI

امرأةٌ لا كالنساء،
ذاتُ برقُعٍ يشفُّ عن غروبْ
لعطرها الأسودِ فوْحة الأشواك،
في أنفٍ بلا ثقوب
أرى لها فوق الحوائط السوداء
ظلاً أحمرَ الخطوط
وفوق مرآتي خيالُها المذبوحُ،
يستلقي بلا حنوط.

VII

القطةُ البيضاءُ قد نستني
لبنُ الأحلامِ لا يسيلْ
أطبقْتُ جفني وهي ترتضي حُلْمي
ولكن هل يعي القتيل؟
وأذكُر الشارعَ حينما سربْتُ فيه
ساعةَ الرحيلْ.

وبعد خطوةٍ أليمة
يدقُّ صدري طائرٌ جريحْ
البومُ
البومُ المهدَّلُ الأجناحِ
غشى الشارعَ الفسيحْ.

اسكندرية - ١ نوفمبر ١٩٥٠

وليد

نفساء ألقته العشيةَ عارياً في غرفتي
وتباعدت كالبارقِ السّتوق تأكل مهجتي
تبدو وراء وشاحها الهفهافِ مثل سحابةِ،
زرقاء في شفقٍ خضيبْ
ووليدها كحمامةٍ بيضاء أعشاها المغيب
يرنو إليّ بطرْفه المذعورِ أخرسه القلقْ.

أيمصّ أثداء السكونْ؟
أيضُمّه صدر دفيء؟
كالرّوض موفور العيون
أيظلُّ يحبو في يديه عوسجٌ؟

الأمُّ تبعُدُ لاتراهُ، فهل يعود إلى الظلام
الأمُّ تبعد لايراها، فهو يبكي من أُوام.

الأمُّ تبُعدُ لا أراها لا أراها
سوف تخنقها الغيومْ
أمُ رؤوم.

١٩٥٠

الانتظار

I

الطائرُ الهاربُ لم يعدْ وقد عاد الشتاءْ
الماءُ يهمي ثم يمضي في سبيلٍ من خواء.

قدجفَّ ماءُ النهرِ واصطكّت بعطفيّ الضلوعْ
والطائر الأزرق مصلوبٌ يسجّيه الصقيع
يرنو إلى نافذتي السوداء في صمت وجوع.

الأُشْنةُ الخضراءُ ماتت وامّحى البيتُ الدفيء
والطيفُ يأتي ثم يمضي لايعي لما يجيء
وبعد حينٍ ينتهي والسرُّ في النفسِ يضيء.

II

هجرتُ أُمّي وعلى ثغري حليبٌ لايزولْ
وعشتُ وحدي في فراغٍ وسط صحراء الرحيل
أجمعُ أحلامي بحجْري كالقطوفْ
وأقضُمُ الصبّارَ في جوفي وأُلقيه حروف.
الطائرُ الهاربُ لم يعدْ وقد عاد الشتاءْ
وما أزالُ في انتظارٍ يائسٍ تحت السماء.

III

أنا هنا أحيا وفي قلبي تماثيلي تتوخْ
أقضُم زهري ثمّ أرميه على أرضي مسوخ
وأقطعِ الظلماءِ في حُلم يلاشيه صريخ
القفصِ المهجورُ في نافذتي يُقصي الضياءْ
ومفزعُ العصفور في صدري عراء
واللبنُ القدسيّ في ثغري رشاشٌ من خلودْ
وزهرتي غارقة وسط دمائي كالشهيد
أكلّما دنوتُ من حتْفي تراءى لي عيون؟
أكلما سددْتُ رفْشي في الدجى يعلو أنين؟
أنا هنا في الليلِ وحدي بين جدران السنين
تغفو بحضني دُميةٌ ترضعُ من قلبي الحزين.

IV

الدُمية العذراءُ ما أملُك من إرث الوجودْ
تقبعُ في حضني وتحسو لبنَ الأمِّ الولود
والنهرَ المصلوبُ في بيتي احتساه الانتظارْ
والورد أشلاءٌ بسلتي وفي جيبي نثار
تسفيه ريح الانتظار.

٧

ألا تذكَّرتِ مساء انجاب عن عيني الظلامْ
وكان ميلادَك في عرض الطريق في الزحام
نعمْ، ترامَيْتَ هشيماً ثمّ غشّاك القتام
فسرتُ وحدي في قطيع الناسِ مرضوضَ العظام.
الماء يهمي.. وذئابُ الموتِ تعدو في الطريقْ
الماء يهمي.. وعلى صدري وليدٌ لايفيق.

ورفّ ومضٌ أسودٌ فلاح لي طيْرٌ مهيضْ
فصحتُ «من أنت؟» فقال:
«ذاتُكَ الحُبْلى تبيض».
ثم اختفى كالطيف في الرؤيا يُلاشيه الدُّخانْ
فسرتُ وحدي في خطى المأخوذِ مشدوه اللسان
فدُميتي ليست بحضني، بل تلاشت كالسرابْ
وحلقت في لحظةٍ عبْرَ السحاب.

الاسكندرية ١٩٥٠

طلاسم

أحسُّ أنّ الرؤى
تهوي بما أُلهَمُ
تدفّ في هيكلي
وهيكلي معتمُ
وفي رشاش السنا
يزحمٍ إذْ تزحمُ
طرفُ حسيرٍ رنا
وحوله أنجمُ
تُسرُّ لي من خفيِّ النفسِ
ما أعلمُ
معنى الغروبِ الذي
يشفّه الملهمُ
من حشرجات المنى
بخافقٍ يحلُمُ.

فيرتمي راعشاً
بقبضتي المرقمُ
كأنه ذاهلٌ
يخطُّ أو يرسُمُ
وبعد غيبوبةٍ
أقرا وأستفهمُ
أشياءَ عن باطني
وباطني مبهمُ
فهل يفكّ طلاسم الرؤى
طلسمُ؟

الاسكندرية ١٩٤٩


حرزه البشر من انتصارات طوال التاريخ
لكنه لم يكن يبحث عن واحد من هؤلاء
عارضوه ، وانما كان يبحث

أبداً أموت مع الطيور

النشيد

العالم المنكود ما في جوفه... هل تعرفينْ
الأرض والأفلاك أحجار... مفرَّغةٌ وطين
والخلْقَ ما.. ماكُنْهُهُم وهم الأُلى لايخلدون
إني أراهمِ يبدأون من المنون... إلى المنون
من نطفة تمتد في رحم لميلاد حزين.

أُمي أنا أبنُك لا أرى المصباح في حلك الظنون
أمي وهل لي مفزعٌ غيُر المعابدِ والسجون...
أنا لا أرى حولي خديناً والطريقَ بلا خدين
كالغابة السوداء مجهول المعالم والعيون.

عشرون عامْ
وشرابُ روحي جرْعةٌ حمراءُ تجْمُد في السكون
تنساب من بئرٍ عميقٍ لطَّخته بالدهون
أقدامُ أوباشٍ.. بليل المنتهى يتمرّغون.

ألقيتني رِخص الأَظافر جائعا في غابة الزمن اللعينْ
فرقدتُ يا أمّي.. وحيداً في العراء
مومياء إنسانٍ حديثٍ... يرتمي فوق الحزون.
قيثاره متهرّئ الأوتار... مجروح الرنين.

يتأمل الأشلاء قرب منازل المتوحشين
أشلاؤهم والبومُ ينعب فوقها... هل تنصتين
عشرون عاماً والطنين بمسمعي.. بئس الطنين
وأنا بلا مأوى أكاد أسوخُ في حمأ العيون.

ماذا هنالك؟ أي وحش هائج عالي الأنين
إني أصيخ وللردى في كلِّ زاويةٍ كمين
ماذا هنالك؟ علّه الذئب الذي قنص اليقين
تعوي ذئاب الليل.....
أمي... أين أمي تستكين؟.

الشاعر والليل

ياوحشتي السوداء.. ياصمتي البليد،
لمن نعيش...؟

للجائعين وللذين تمدّدوا تحت الوحوش
للضائعين وكلهم في زحمة الأقدام.. دودْ
والشاردين وليس فيهم من رأى نور الوجود
للخائفين وللذين تردّدوا وسط الطريق
والتائهين وكل من تحت الظلام بلا رفيق.

ياوحشتي السوداء
ياصمتي البليد لمن نعيش؟
ناديت أين خليقتي
فسمعت حمحمة الوحوش.

إن العيون بعالم كالقبر ممدود اللحود
تزري ببيضة طائرٍ تنداح من قمم الوجود
العشُ ذرّت قشهُ ريح تهب من الجنوب.
هوجاء تصفر في الظلام كأنها روح تغيب
أبداً تهب وفي الذرى العصفور يضرب بالجناحْ.

ماذا دهاه... أيُّ شأو شأوه بعد الصداح
الموت ينتف ريشه
والموت يرقص في الفضاءْ
والوردة الزرقاء في فردوسها قبر الضياء
ماذا دهاها إنها كانت تغني في السحَرْ
الليلَ تبكي في هميمٍ يخنق الألق العطر
ياوردتي في الليل يُصلَّبُ حُبُّنا
هل تنظرين على الضباب ضريحه...؟
ذا دربنا.

روحي ببرجٍ أزرقٍ في مئزرٍ ضافي السوادْ
كالطائر المسحور تشدو والنشيد صدى الحداد
قد مات لي طفلٌ شفُوفُ العظْم لم تُبْصره عيني
قد مات كالحلم البريء تعضّه أضْراس ذهني

طفلي وأمُّكَ حيَّةٌ قد كنتَ لي اللحن الأخيرْ
فلأحطم الناقوسَ، أنت بجوفه رجعٌ كسير
ألصمتُ والآلامُ خمرةُ خالقِ الفنِّ العظيمْ
والراحةُ الكبرى ترفُّ بموتة الصنَم العقيم.

أنذا أكفِّنُ كُلَّ ما خلقت يدي تحت الظلامْ.

أأموتُ والأصنامُ أصنامي تعيش بلا طعامْ
الجوع ينهشني، وتلك خليقتي خُرْسٌ جياعْ
قد مدّت الأصنامُ نحو أضالعي كُلُّ ذراع.

الحُبُّ خُبزُ الخالقِ الأبديِّ والألمُ العميقْ
والخمرةُ الخضراءُ من دم قلبه نعم الرحيق
فلتغمسي يازهرتي ساقيك في هذا الغديرْ
إني عصرتُ به جروحي خمرةً للمستجير.

قلبي طعام الحبِّ قد مزّقْتُهُ وقت العشاءْ
وبأرض مائدتي فرشتُ أزاهري فوق الغطاء
هذا أنا فلتأكليني قبل أن تأتي الرياحْ
وتذرَّ روحي في فضاءٍ مظلمٍ طلْقِ البراح.
هذا أنا طرّزتُ أفقك بالكواكب والنجومْ
وجعلتُ دربكِ مذ نشرتُ سحابتي قبر الغيوم
عمري وما عمري سوى أجراس ناقوس بعيدْ
والأرضُ أرضي البورُ فردوسي يظلُّ بلا ورود.
للشاعر المجذوب أحلام
وللرؤيا نبوع
ومشيئة القدرِ الخفيّ
لها أعاصير تروع .

عشرون عاما قدتلاشت... في غبار القافلهْ
وعلى فراشي بعثْرت كفّي سنيني الذابلهْ.

هذا أنا
مومياء إنسانٍ حديثٍ.. مصَّ أثداءالفنا
قد دق بابكِ مُبْهماً ودققتُ بابك معْلَنا
الآن بعد هنيهةٍ سوداء.. أجهلُ مَن أنا..!

شعري وينبوعي المغيّب في الرمال المعشبهْ
ونحيب قيثاري ووحي سكينتي المستعذبهْ
روحي وروحك... يرقصان على بساطٍ في الفضاءْ
قد طرّزته يدُ الخلاص.. ونفّضتْ عنه الطلاء
لحظاتُ إلهامٍ تمرُّ ولا تعودُ مع الزمن
لا تحرميني سحرها المخبوء.. حتى في الكفن.

النور والإبداع في روحي وقلبي المضطربْ
أسراب أطيارٍ تحلق في فضاءٍ مكتئب
ماذا دهاها!.. غرفتي في الليل تغرق في دخانْ
قلبي. وفوق ستائر الشبّاك نار... أم دهانْ؟
ذا مرقدي المثلوج يبدو لي كقبر من زجاجْ
لا يرقص العصفورُ فيه وهو مشدودُ الرتاج.

حرّيتي.. حرّيتي.. قفصي تعلق في الهواء
ووراء قضباني أرى أقدام أُمي في السماء!

ربي أنا حرٌّ.. أنا حرٌّ..
أنا حرٌّ طليقْ
هذا سِراجي فهو منك
شعاعُ مصباحٍ فتيقْ
حمّلته حتى أُنير طريقَ قافلةٍ تسيرْ
فرأيتها يا ربّ تخبطُ في حفير
الآن أصرخ من صميمي
«تلك قافلة تسوخْ
في الرمل. والأوثانُ
قد بقيت يراقصها مسوخ!»



العصفور والزهرة

ذا مرقدي المثلوجُ.. والروح الكئيبةُ في وجومْ
لايستقر بها قرار.. وهي تنبش في الغيوم
النور يا روحي وما في النور دنيانا تدوم
عشرون عاما في سكونٍ باردٍ وأسى مقيم
أتحسّس الأصنام في قلقٍ وفي ضجرأليم
علّي أرى فيها إلهاً يرتضي فكري السقيم.

هذا أنا ياروح في الظلماءِ أجهل ما أرومْ
الوحشة القتماء.. تنبش مهجتي نبش الرميم
وأنا أئنّ ولا أريد بها سوى قلب رحيم.

حرّرتُ روحي من عقال الجسم فانطلقتْ بعيدْ
وظللتُ وحدي غارقا في وجْمتي صنْو الجمود
صنمٌ على قُللِ الرمالِ يقلّ جمجمة تروعْ
مرّت به الأطيارُ فانتفضت وهمّت في خشوع
الخالق المجهول يُصلْبُ كالغراب على صليبْ
سيغيبُ تحت ضبابة الآلام كالهَمل المريب
ويضيعُ قبل بلوغه.. قُننَ الرؤى..
نبع الوجودْ
فيموت،
ثمّ حضارةُ الإنسانِ ترسفُ في الحديد.

ألكأس قد كسّرتُه وأرقْت خمري في الطريقْ
وجثوتُ فوق أزاهري أبكي الحياة بلا رفيق
أزهارِ فكري كوْمةٌ بيضاء وسط كُوى السكون
والماءُ في البئر العميق يعيثُ فيه العابرون.

الآن بعد هنيهة بيضاء أغْمس في الظلامْ
رجلي. وبين أصابعي الخضراء يرتعش الغمام
أحببتُ فيك سذاجةَ العصفور معْ حزْن الورودْ
ورضيتُ جسَمك مطْهراً والروحُ تدركُ ما أريد.
أقباسُ نور تمّحي فيها خيالاتُ المساءْ
فيزولُ عن حلقي الصدى وتذوبُ روحي في الضياء
وأعبَّ خمر لُعابك المعسول.. مرتعش الجنانْ
وأضمُّ صدركِ نحوَ صدري كي أُذَرَّ مع الدخان.

يازهرتي الزرقاء قلبي تحت غُصنك أقحوانْ
قطفتْه ريحُ الليل وهو معلقٌ وسْط الجنان
الآن يرقُد لاهثَ الأنفاسِ مُنْبجسَ النجيعْ
يتأملُ العصفورَ يرقُص تحت ظلكِ في خشوع.

المخدع

قد عاد يقرع بابَ مخدعك المضمّخَ بالطيوبْ
صدْيانَ يسأل رشْفةً خضراءَ تذهبُ بالندوب
الطيفُ يسعل والرياحُ لها عزيفٌ في الفضاءْ
والليلُ مخضوبُ الجوانبِ كالضريحِ بلاغطاء
ماذا أرى؟
الذئبُ عاد وراح يعبثُ في الظلالْ
متكلّس الأظفار ينهش ثُلمةً تحت الرمال
وقميصك المنهوبُ يسقُط من فمِ الذئبِ المريضْ
كخلاص إبنٍ ماتَ
لكن لايزال يرى غضيض.
الريحُ تعوي والظلام يعضُّ قلبي في جنونْ
الريح تعوي والذئاب بركن بابك تستكين
لاتفتحي الباب المشفَّ أنا أخافُ من الذئابْ
وكفاكِ أني لقمةٌ معجونةٌ بدم الرغاب.

قد جُعْتُ، لكن سوف أمكث جائعاً فوق الطريق
وبظلّ بابك، أُطلقُ الأشباح من خلَل الشقوقْ
لاتفزعي إنْ خاض مخدعك الشفوفْ
طيفٌ فهذي الزرقة القتماءُ تطَفحُ بالطيوف.
قولي لأمك من أنا، قولي لأمك من أكون
الخالقُ المجنونُ، والفلك المعصّب بالدجون.
الدْرب تُنكرني ولي في الدْربِ آثارٌ أليمهْ
حتى الرياحُ تكاد تفشي للملأ سرّ الجريمهْ
ماذا دهاها، إنني مازلت في صحْن الخلاءْ
لابيت لي.
أفترتضي لي حفنةً ياربّ من طينٍ وماءْ
أنا ذا أتوق إلي السماءِ، ولا أراني في السماء.

ورؤاي، هل تبقى ومابقيت رؤى أمّي الحبيبهْ
(المسْخ تحسبه العيون فضيحة النفس المريبه.)

ماذا دهاني.. أيّ نورٍ أبتغي بعد الغروبْ
مات النهارُ فودّعي ياروح فردوسي المهيب
إنّا العشيةَ لانرى إلا المسيرفهل نسير؟
قالت «نعم» وكأنّ روحي ترتمي فوق الصخور.

«عشرون عاماً نحن نمشي هل بلغنا مانروم؟
«لو كنت أدري من أنا لرضيت خُلْدي في الجحيم»
أوّاهُ حتى أنت ياروحي الشقيةُ تقنطين
أفلا أسير.. أأنتهي فوق الطريق بلا خدين
حلمي الرضيعُ أضمّه لغدي.. فمهلاً لن أموتْ
مازال لي قلبٌ حرونٌ يقنصُ الألم الشتيتْ
فلتجْعليه من شفاهك يحتسي لبنَ الأمانْ
إني عبرتُ به الدُّني عَشرين عاماً في امتهان.

يازهرتي الزرقاء عطرُك فاح في الليل الرهيبْ
قد زحزح الباب المشفّ وحطّم السجُفَ الخضيب
فرأيتُ أمّك في ثياب النّوم تسألُ في وجومْ
«ماذا أرى» وتعودُ تسأل «ما أرى، هذي غيوم»
لابل دخانٌ أزرقٌ أبداً يُذرُّ مع الهواءْ
في ذرّه روحٌ تغيبُ، طعامُها صمْتُ المساء
قولي لأمك إنه حَملٌ ببابك يستكينْ
عشرون عاماوهو ينطحُ صخْرة الوقت المكين.

28. In concluding this report, I wish to express my deep appreciation to the troop-contributing countries for their steadfast and generous support of the Force. I also wish to pay tribute to the Commander of UNIFIL, Lieutenant-Gene William Callaghan, and his staff, civilian and military, and to the officers a men of UNIFIL as well as to the UNTSO military observers assigned to the area. They have performed their tasks with exemplary dedication and courage.



الحلم

جمد الظلامُ وأفزعت روحي هواجسُ كالرعودْ
قمْ أيها المجنونُ واتبعْ نور مصباحٍ بعيد
الليلْ يُصْلَبُ للزوابعِ والعواصفِ والجنونْ
والوقت قرعة طبلةٍ أوهمْسُ عصفور حزين.
لا تكتئبْ، غبّ السرى المرهوب.. تحترقُ النجومْ
فاقرع بكفّك بابها.. واصرخْ بصوتك ما تروم.

ربّاه! ماهذي الموائدُ والدوارقُ والزهورْ
القومُ راحوا يرقصون ويكرعون طلا الحبور
سعل البيانو.. سعْلة الآمالِ في قلْب الظلامْ
فسمعتُ قهقهة النساء وضحْك أوشابٍ طغام
ربّاه! ما هذا العجيجُ! وأين مني ما أريد؟
القوم في هرجِ السعادة يخنقون صدى القصيد
إني وقفتُ ببابهم متربّصاً.. صنْو الوجومْ
متأمّلاً جثثاً عرايا.. تختفي ذوب الغيوم
وكأن موسيقى السكون تكسَّرت مثل الزجاجْ.

القومُ يلهون العشية والجياعُ علي الطريقْ
يتضوّرون سآمةً ويُخضّبونَ رؤى الشروق
وتلوحِ فوق غمامةٍ دكناءَ عاريةِ الجبينْ
الزهرةُ الزرقاءُ والأملُ المعصّبُ بالمنون
عامودُ ثلجٍ أسودٍ ورخامُ مقبرةٍ كئيبْ
البومُ يرقص فوقها.. رقْصَ السعالي في كثيب
قد مزّق البُرْدَ الرقيق بظُفْره ذئبٌ ضريرْ
فرأيت عصفوري يدفُّ بجُنْحه فوق الغدير
الماءُ أنتن والرمال تناثرت عبْر الفضاءْ
والطائرُ المقتولُ غوّر في قرارٍ من هباء.
ماذا أرى؟
الزهرة الزرقاءُ عاريةُ الذراعْ
تهتزُّ في أرجوحةٍ رعناء ترعشُ كالشراع
الليل يحبو والرياح بجرْسها حزنٌ عميقْ
والأرض يلحس تُرْبها في شهوةٍ مسخٌ طليق
ياحفنة الأحلام، أيّ مشيئة للحالمين
بعد الكآبة والسكينة في ظلال الراقصين؟

وتهبُّ ريحٌ قرّةٌ، وتبحُّ زفرةُ ساعتي
الوقتُ مات وعُلّقتْ بين العقاربِ مهجتي
إنّي وقفْت ببابها المغلوقِ كاللّص المريبْ
أتأمل الأفخاذ ثمة ترتمي.. حتى تغيب
ربّاه !عادت أمُّها،
ماذا تريد؟

وتقول: «أمي من أتى بك ها هنا.. ما ترغبين
أمي أجيبي؟» ، ثُمَّ تذكر أُمُّها سرّاً بطين.
«ياطفلتي هذا رداء أبيضٌ نسْجُ الطهارهْ
«إن تلبسيه يحتفلْ بك كلُّ جار... كلّ جاره»
وتعود تهمس «زهرتي، الليل عيدٌ للحصادْ»

(رباه!عدلك معجزٌ.. لهمُ الغلالُ ولي القتاد
هذا الرداءُ رضيتُه كفناً لأهوائي الجريحهْ
إن تخلعيه أحتفْل بك فوق أشواك الفضيحه.)

عودة المجنون

بين الشوارعِ والمنازلِ والسكونْ
تحت المصابيحِ الكئيبةِ والدجون
أسري كأني مجرمُ
يرتاب جنديّ الطريقِ
مرآي ثم يقولُ «إنسانَ غريبْ
في الليل لطّخه الدمُ.»
ويعودُ يسأل «أيها الساري المريب
القوم ناموا.. ما تريد من الدروب
أو ليس تعرفُ مسكَنكْ»
لاتسألنّ وخلّ سؤْلك يارفيقْ
أملٌ وحيدٌ.. أن أموت على الطريق
فلتبتعدْ لئن ألعنكْ»
عشرون عاماً! قد مضت! عشرون عامْ
وأنا أُفتشِ عن خلاصي في الظلام
وأخوضُ في حمأ الوجودْ
– ماذا وجدتَ؟
ضفادعاً تطأُ الورودْ
حمراء تنعقُ في الظلام فلا نشيدْ
يعلو ولا لحنٌ جديدْ

- ماذا فعلت؟
عصرتُ قلبي في غديرْ
وحطمْتُ رأسي في دواليب الشعورْ
ومَزَقْتُ صدري في جنونْ
- ماذا جنيتَ؟
صدى القصيد ولا قصيدْ
والزُّهمة القتماءُ تصفر من بعيد
ففقدت ذاتي والسكونْ
- فلما تعيش؟
لكي أموت ولا أموتْ
- ولما تسيرُ؟
لكي أرى قبري المقيتْ
فيضمُّ جمجمتي الترابْ
- هذا غريبٌ؟
إنه حقاً غريبْ
ألاّ أراها ها هنا وقت المغيبْ
والوقتُ يصلبه الأبدْ.
- ماذا تقولُ؟
أقولُ شعراً بلْ هراء
إن الطلاسمَ كالصلاةِ رؤى السماء
والنور نهرٌ من ثَمَدْ.
- أفأنت مجنونٌ؟
جنوني لايضيرْ
فهو السراجٌ بظُلْمةِ تعرو الشعورْ
والعقلُ يصقله الجنونْ
- رباه ما هذا؟
أتسأل من أكونْ..؟
إني رفيقُك في الظلام.. أنا خَدِينْ
أنا خالق أبداً حزين

– من أنت؟
حسْبكَ يارفيقي أن أقولْ
«الخالقُ المجنون والنبْعُ الغليلْ
أبداً أموتُ مع الطيورْ.
– رباه!
صوتك ضائعٌ
«كفر مهول»
– رباه!
صوتُك ضائعٌ..
–«ذا مستحيل»
(الله يكمن في الضمير).

السرنياد الأخير

الرَّبع ربْعك، والطريقُ هو الطريقْ
والنور من فِردوسك الضاحي فتيق
قد بزّ لؤلؤهُ النجومْ.
قد ترقدين على السريرِ وتحلمين
وأنا أدبُّ من الحزونِ إلى الحزون
وألفُّ قلبي في الصريم.
خلفَ الستائر تلتوي حُمْرُ الظلالْ
فتلوحُ والشبّاكُ تصْفعه الرمال
أفتلك زوبعةٌ هبوب؟
خلف الستائرِ يختفي شبحٌ مريضْ
خلف الستائرِ يرتمي طيْر مهيض
وعلى الفراشِ دمٌ يسيلْ.

فوق الجدارِ أرى رسوماً مبُهمه
وخيال إمرأة.. يُسيل لها دمه
فتمصّه مصَّ الشمول

وتدُور.. والأفعى تلوّى من أُوام
حتى يشقَّ قميصَها ذئبُ الظلام؟
فتروح ترقص في جنونْ
النار تعلقُ بالرسوم وبالستارْ
والحَيةُ الرّقشاءُ تلْحسُ في الجدار
والذئبُ منتفخُ العيونْ.

مابالُ غرفتها تغيبُ ورا الدخانْ
الذّئبُ يعوي والغمائم في احتقان
وجه الثرى عند المساءْ

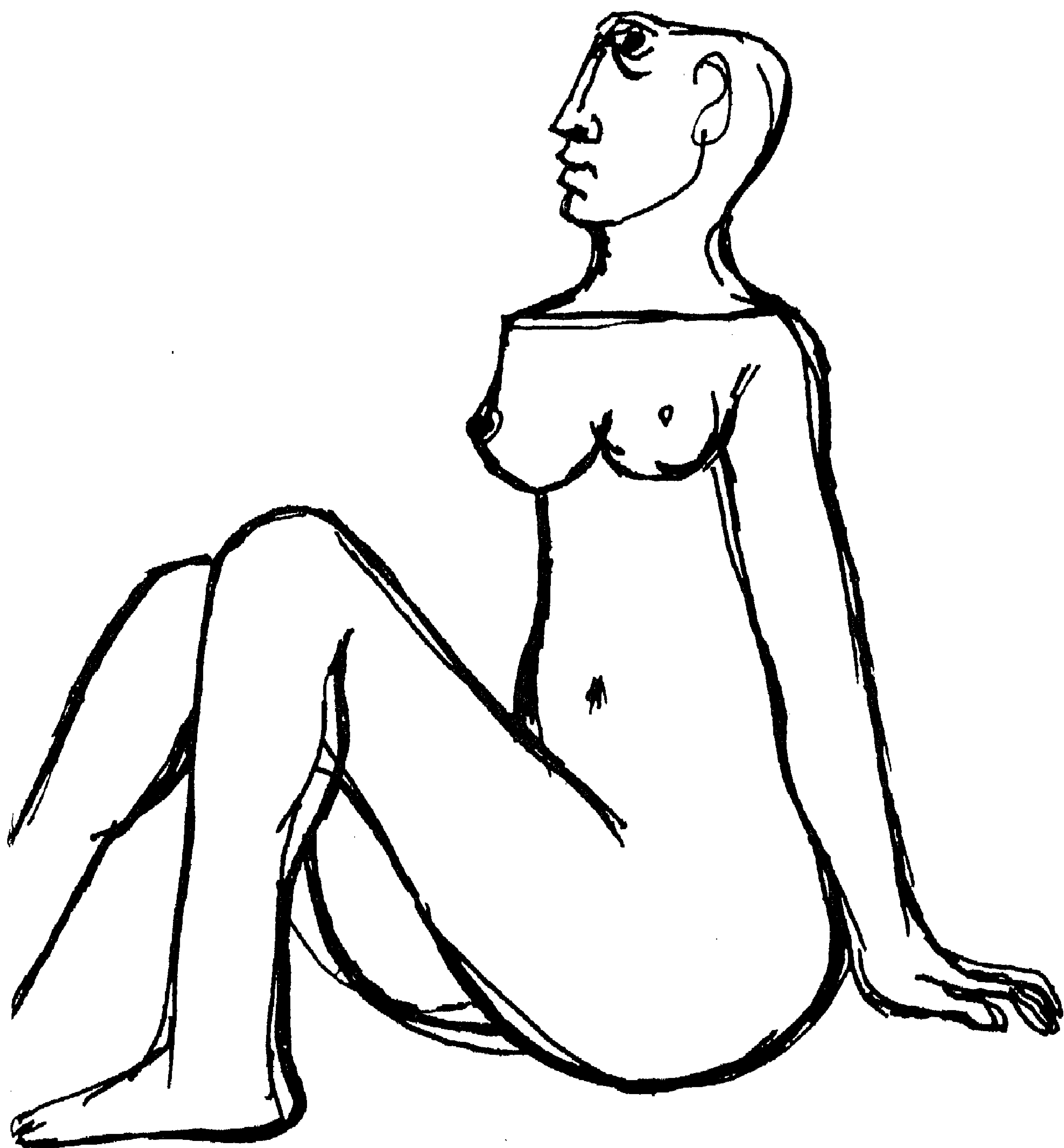
الصمتُ عاد ولفَّ مئزرَه الربوعْ
والدّربُ طال.. فأطفأ الوقتُ الشموع
وأنا أغنّي في العراءْ.

حلم

وأروحُ أقنصُ طائراً يغفو بفردوس جديبْ
وأضمّه في غفْوةٍ ضّم الحبيبِ إلي حبيب
وأعودُ أقصدُ مرقدي المثلوجَ من خلل الضبابْ
وأسيرُ كالسكرانِ لايدري النجومَ من الحَباب
مترّنحاً.. كالطائرَ المذبوحِ.. والحلمِ المهيضْ

أرنو إلى أفقي فأبكي خالقاً وطأ الحضيض،

الاسكندرية ١٩٩٠



موعد قديم

الصّبا المصلوبُ والشفقُ
مرقدي، في النور يحترقُ
قرب ينبوعي، أرى فرخاً
هام حتى هدّه الرهقُ.

موعدي في وُكنةٍ بعُدتْ
عن عيون الطيْر، وارتشفت
من قواريرِ الظلالِ، ففي
وُكْنتي الألَوانُ، مُذ مُزِجت.

هبَ ريح ناعمٌ عطِرُ
وترامى في المدى زهَرُ
وعلى الينبوع قُبّرةٌ
وقطا يرمي به الضجرُ.

حُلْمُ روحي أزرقُ الدُّثُرِ
وقصيدي، من فمِ الغجرِ
وُكُناتُ الليل تجمعُه
كهفيفِ الريحِ في الشّجرِ.

ملء كوبي، خمرةٌ رنقَتْ
وورودٌ في المدى عبُقت
قرْب ينبوعي.. وفي حِضْنِي
شبحٌ.. أنفاسه شهقت.

ترتمي في خاطري صُوَرٌ
كرذاذٍ، والدّجى عكرُ
وعلى المصباحِ أخيلةٌ
ورسوم ملّها النظرُ.

وأرى في الورْدِ لي كفنا
وقناعاً، غرّني زمنا
ريشتي قد لوّنت بقُعاً
وغدت، تستعرضُ القُننا.

موعدي في قُنّة الشفقِ
تحت مصباحٍ بلا ألقِ
كان ذا والصمتُ مرتعشٌ
وشراعُ الموتِ، في أُفقي.

رشفةُ الصهباء، من كأسِ
في يدٍ مبرورةِ اللمْسِ
أرقُبُ الميعادَ وهي على
مرقدي، تغفو بلا حسٍّ

جُثّةٌ كالليلِ جامدةٌ
ومُنى في النفسِ هامدةٌ
كيف أُبقيها، وفي قممي
لهثاتُ الشِّعْرِ خامدةٌ.

قرْبَ ينبوعي، وفي حضْني
دُمْيةٌ نامت من الحزْنِ
ورمادُ الفجْرِ يذروهُ
طائري المعصوبُ في عيْني.

١٧ فبراير ١٩٥٠

الخريف

I

وراءَ أودية الغروبْ
والنور يرقصُ في شحوب
ترقدُ عاريةٌ،
بين الورود، على كثيبْ.

سال على فمها الرقيقْ
من مَرْضعِ اللهب الدفيق
شعاع مِسرجةٍ،
غابت بحضن الدجى الغريق.

النُور في رعْشة الجفونْ
تمدّه الهُدْبُ في سكون
علي شعاعٍ له،
في الصدر نبعٌ من الحنين.

رشفتُ من عينْها الضياءْ
وصُغْتُ أنفاسَها غناء
فأيُّ قيثارة
تجفُ في ذُرْوةِ الرواء؟

عذراءُ تحتضنُ الوشاحْ
عرّت مراضعها الرياح
حتى بدت والمسا
يُصبغها، تحتسي الصباح.

يصبُّ أخيلتي المساءْ
فأحتسيها مع الضياء
خمراً تقدّمُها
يدٌ بها يخلُد العطاء.

يلوحُ تمثالُها الجليلْ
في قمة العدم الغليل
وفي يديها دُميً
عجفاءُ تجفُل للرحيل.

أطفالُ روحي بلا رداءْ
تُلقي بها الريحُ في الفضاء
في شبْه غيبوبةٍ
تكون في قبضتي هباء.

عصارةٌ من دم النهارْ
ومهْجةٌ عضّها الأُوار
فخلّفت في المدى
أشلاءَ فكري بلا إزار.

بكيْتُ ماضمّه المغيبْ
وذكرياتٍ لها طيوب
تضوع بيننا الدجى
يهبط في صمته الكئيب.

ترفُّ أجنحةُ الدجونْ
ويرتمي في المدى السكون
يلفُّ راقدةً
غفت على أضلع الظنون.

عذراءُ فتّقت القصيدْ
من فيْضِ إلَهامها الشرود
الآن ترقُدُ في
وادي الرؤى، كالصدى البعيد.

الظلُّ يلهثُ في الدروبْ
والضوء يهذي على صليب
لاتنبشوها ففي
ردائها نهْشةٌ تريب.

يهمسُ فجري ولايبوحْ
يعصفُ حُلْمي ولايلوح
وأضلعي من لِظى
شوقي تهمهمُ للقروح.

إزاء عاريةٍ يغيضْ
في حلْقهاً المرشفُ الغريض
ويكتسي وجهها
بمسحةٍ تنفث الغموض.

الجبهةُ البكْرُ كالشعاعْ
والوجه يحرقه القناع
رؤى مقنّعةٌ
لها فمٌ يهمسُ الوداعْ.

١٩ فبراير ١٩٥٠

II

ياربَ وحدي مع الطيوفْ
كالظلِّ روحي إذا تطوف
في تيه ظلمائها
فلا يبحُّ لها عزيف.

الريحُ مجنونة تنوحْ
لا يرتضي قلبُها الجريح
صمْتَ الدياجي التي
أدْمته حتى غدا يصيحْ.

مرْرتُ بالدربِ والغروبْ
يدبُّ في عظمه الرطيب
والأفْقُ في نشوةٍ
يرفل في ثوبه الخصيب.

طبيعةُ النورِ ما تكونْ
هل لوْحةٌ من رؤى الجنون
أم صورٌ من سنا
تأمّلِ النفسِ في السكون؟

الورد يبكي على الطريقْ
ويرتمي في المدى الغريق
لو يبتغي مورداً
يسدّه ماردٌ عتيق.

رضعتُ من مَرْضع الظلامْ
وكحلت مُقلتي القتام
ورُحتُ في محبسي
أصيح، هل يُقبضُ الغمام؟

وشاع صَمتٌ على الوجودْ
وفاح عطرٌ من الورود
فقال لي خافقي
هنا اللقاء، هنا الرقود.

هنا التقينا وللمساءْ
همسٌ ترقرق في الفضاء
«عودا لقبركما
عودا ولا ترقبا اللقاء.»

ينبوعُ نفسي على الرمالْ
معلّق في زبى المحال
وبين جمجمتي
ومُهجتي ترقُص الجبال.

أمَسْكْتُ في قَبضتي الشعاعْ
ففرّ من قبضتي وضاع
وتلك أنشودةٌ
على فمي تصرخُ الوداع.

٢٠ فبراير ١٩٥٠

نزْوة

لك مفزعٌ في أضلعي يعلو السحابَ ومرقدُ
وملاءةٌ تخفيك إنْ راح العصوفُ يهدّد
لاتسألي عن ذاَ الشتاء، أليس يكفي موْقدُ
وعن المساء تحدّثي، فبروحه نتمدّد
إني شربتَ ظلامه، فبباصري لايجمدُ
لمّا نظرتكِ خلفه، وعلى جبينك يشردُ
نورٌ هزيلٌ ينتهي تحت الرداء ، ويَبعدْ.
أفتذكرين لقاءنا، أفتذْكرين ؟

خطواتُك الملساءُ كالنغمات ترعشُ في الفضاءْ
سأموتُ وهي بغرفتي معطورَةٌ تأبى الفناء
سأموتُ وهي غلالةٌ في طيّها أرج البقاء.
علقتْ بها أنفاسُ قلبٍ ناضجٍ نضْج السماء
تهبُ الحياةَ صبيّةً، وتمجّ رقراق الغناء.

أفتُرضعين براعمي، أفترضعينْ؟

غطّ الدجى، فانزاح مئزرُها ولوّح في سخاءْ
صدرٌ طريٌ مخصب، أزرى بزنبقه الرداء
وتنفّستْ أزرارُها، فتلوّنت لوْن المساء،
هذا المساء عشقته، تلك التي لون المساء،
منّي وفي أوراقها، حلْمي الخفّي له ارتماء.

الخمر في الإبريق يبكي، والسريرُ مبدّدُ
فخذي خذي الأكواب، عبّيها فليس لناغدُ.

١٧ يناير ١٩٥٠


199 Upper Fairmount, MD 21867-0199
9150 Fax (410) 651-5313
ct
with
ition and
opportunities ...

صمت

إذا انساب لونُ البياضِ
على أضلعِ الزورقِ
وأرعش مجدافَ صمتي
دبيبُ الدجى المُحْرَقِ
وعادت عصافير حُلْمي
إلى مخدعي الأزرقِ
ألاَ تمّحي ظلمةٌ
بجدرانِ قلبي الشقي؟

إذا انشقّ ليلُ الطريقِ
وفتّق ضوئي البعيدْ
ولاح بمصباحِ دربي
خيالاتُ فجري الشريد
ومرّت على جبهتي
يدٌ ذاب منها الجليد
ألا تنقضي رعشةٌ
بدفء الخيال المديد؟

إذا بُحَّ ناقوسُ أمسي
وهمهم عند الغروبْ
وفي قبضتي مِرْقَمٌ
وطرسٌ عميقُ الثقوب
وأفرغتُ كأسي العتيق
وألقيتُ خلفي الصليب
ألا ترتوي من دمي
ورودُ الربيعِ الجديبْ؟

أنا ذا بقبر النجومْ
أعلُّ بقايا الحنينْ
أمصُّ نهود الرؤى
وأقضُمُ خبز الجنونْ
تمدّدت في وجْمتي
وفقّعت وحشي العيونْ
فغاب بنفسي الرمادُ
وعادَ إليّ السكون.

١٨ إبريل ١٩٥٠

المرسم الخالي

I

تهبطُ من أبراجِ روحي
والطائرُ الأزرقُ غافٍ
رنّاتُ أجراسٍ تُنادي
وفي الفضاء الموتُ ضافي
قد أوحشَ المرسمُ حتّى
جفّت بفُرشاتي الزيوتُ
واندلقتْ في الأرضِ ألواني
واحتساها عنكبوتُ
كأنّ في بيتي رفيقاً
وليس في بيتي رفيقُ.

وحدي أمام لوحتي
وحدي في اغترابي واكتئابي
أرسُمُ خطاً ثم أمحوه
قبل أن أغلقَ بابي
وأرتمي على فراشي
في تعب العاني السقيمِ
كالسرّ في الحوباء أغفو
على مساميرِ الجحيمِ
أعضُّ إصبعي وأبكي
من فرْط إجهادي وضعفي
وأفتحُ الشبّاك حتى
أخْنقَ نجماً رام حتْفي
يرنُّ في أذني صُراخ

وترتمي حولي طيوفُ
يدبُ ميلادٌ أليمْ
وفي الذرى موتٌ مُخيفُ
الليلُ والسكونُ
والوحشةُ التي تأكلُ رأسي
ورجْعُ صيحاتِ السُكارى
يُجهدُ أعصابيَ وحسّي
كأنّ في رأسيِ مزامير
تقطعُ الأوْقاتَ تعوي
تنفخُ فيها حيّةٌ في بطنيَ
تعلو ثم تهوي
أحسُّ أني موقدٌ يغلي
فوق نيرانِ الملالِ
الصمتُ أحطابي وقوتي
بعضُ خطوطٍ أو ظلالِ
رضعتُ من ثدْى الدياجي
ومرّغتني في القتامه،
أُمّي، فما سوّدتُ أحلامي
وهي من دلْو السآمه
إذا تراخى الموتُ فوقي
وأودعوني في الظلامِ
وكفّنتْني كلُّ حُبْلى
ببعضِ أطمار الرّمامِ
لاتذكري إسمي ولكن
قولي: وداعاً ياحبيبي

فبعد عامٍ سوف تأتينَ
مرسمي غبَّ الغروبِ
في حجرةٍ سوداء،

لم يدخلها بصيصٌ من ضياءٍ
ترين لوحاتي وأوراقي البيضَ
في فوضى الفناء
وثم مصباح حزينٌ
يعرفُ إظلامي وحزني
لاتسأليه عن أماسيَّ
واسأليه عن هميمي
كم ليلةٍ هذيْتُ فيها
باسمكِ في شعْرٍ عقيمِ
وكم هززت مرقمي
في رعشة مجذوبٍ بليدِ
عسى أخُطُّ صورةً
في ذهني يجلّيها شرودي.

لاتمكثي في مرسمي
إنّي أبداً فيه أكونُ
أخافُ أن يمصَّ تدبيكِ الموتُ
والعقلَ السكونُ
أخافُ أن ألقاك
تمثالاً جامداً لاحسَّ فيه
مفقأ العينين عريانَ الجَسمِ
لا ريط يقيه
لاتمكُثي فِي مرسمي
إنّ الموتَ ميلادي الأخيرُ
ألمْ تخافيني
أنا ذاك الوحشُ، الوحشُ الضريرُ
لن تمكثي هنا طويلاً

فكلُّ مافي البيت يُرعبْ
أنا ولوحاتيَ غربانٌ
في ضريحِ الوقت تنعَبْ
قولي وداعاً، شُرِخَتْ رأسي
فمزاميرى تعوي
والحيَّةُ الرقطاءُ في بطني
وشموعُ الوقتِ تذوي.

١٩ يونية ١٩٥٠

II

قد مرّ عامٌ ثُمَّ عامْ
والمرسمُ المهجورُ خالي
أعيشُ فيه كالغرابِ الأسفعِ
في الدور الحوالي
خبزيَ أسودٌ وكوبي
يطفحُ بالظلِّ الكثيفْ
ومخدعي ترقص فيهَ
أشباحُ عجّاجٍ عصوفِ
فتّشتُ عنك في زوايا بيتي
وأركان الظلامِ
فلم أجدْك مثلما كنتُ دائماً
وقتَ الأوامِ
كوبيَ فارغٌ وبطني
تنهشها الحَيةُ نهْشا
كأنّ في جُمْجمتي منْجلاً
يحشُّ العقلَ حشّا

أحسُّ أنّي جيفةٌ
في فمي ترابُ القبْرِ جاثمْ
تلهو بعيني سعالي الحفيرِ
والدودُ المزاحمْ
شُقَّ لساني في بطونِ الذئابِ
والليل البهيمِ
وزحزحت جمجمتي
أنقاضٌ تهاوت من رميمي
أَطلَّ من صدريَ فرخٌ
وطار في رحْبِ الفضاءِ

يسألُ عنك كلُّ مصلوبِ
فوقَ صُلبانِ السماءِ.

لاتفزعي من لون فرخي
قد جنّ من خوفك آخر
لاتقتليه إنّ لي في الأفقِ
عيوناً كالأظافرْ.

III

وطار حتى ذبُلتْ
أنجامُ العشيّاتِ السوافرْ
وشقّ أنفه شميمٌ
من عرقٍ فوقَ المباخر
ورفرف الجناحُ صوب المنزل
في جوف السكونِ
يهزّه ريحٌ عنيفٌ
وثأرُ مجذوبٍ سجينِ.

غرفتها عائمةٌ
في بحرٍ من النور العميمِ
وخلفَ ألواح الزجاجِ الحمراءِ
عنقودُ الكرومِ
كأنّه عذراءُ في شبّاك الدجى
خلفَ الستارِ
تبحثُ في السماءِ عن نجْمٍ
مُذهبِ السربالِ سارِ.

وراحَ يخبطُ الزجاج الرقيقَ
منقارٌ طويلُ
يهيجهُ صدى بيانو
وصوتُ قَيْنةٍ جميلُ
وبعد لحظةٍ من الصمتِ
أبعد المزلاجَ عبْدُ
فما رأى شيئاً
سوى فرخٍ ميّتٍ فما يردُّ.

٢٠ يونيه ١٩٥٠

في الليل

حشرجَ مصباحُ النهارِ الهزيلُ والظلُّ ترامى
في كلِّ مخدعٍ عاشقٌ معْ عشيقةٍ
في الليلِ ناما
أو شاعرٌ يهزُّ قيثاراً
جامداً أمسى حُطاما
يسأله عن ذكرياتٍ
والصمتُ يُصليه ضِراما
ماذا هنا؟
في الليل طفلٌ يسألُ أمَّه طعاما
ماذا هنا؟
في الليل مجنونٌ راح يخنُقُ الحِماما
ماذا هنا؟
لاشيء غيرُ الأشباحِ تشربُ الظلاما
في كلِّ شارعٍ رصيفٌ
ينامُ فوقه يتامى
في كلِّ قبْوٍ مومسٌ
في حضْنِ غريبٍ تترامى
الليلُ مدفنٌ مخيفٌ
يبلعُ جوفهُ الرماما.

في هُوّة النسيان
تمضي قافلةُ الفَجرِ اليتيمِ
تعجُّ بالأرواحِ،
أرواحُ النور تمضي للجحيمِ
كأنّما رفرف في الوادي
أبقعُ الليلِ البهيمِ
يريدُ أن ينقر روحاً
تشقى بأقفاصِ الجسومِ
عسى يراها حُرّةً
تجري في الفضا جرْيَ الظليمِ
كالشاعرِ الجوعان
روحٌ تمصُّ أحشاءَ الصريمِ
وقبضةٌ تعصُرُ أطباق الوقتِ
في قلب عظيمِ.

هل يخمدُ البركانُ
هل يذوي ابنُ ميلادٍ أليمِ
لا تبلعُ الظلماءُ ينبوعاً
سال في بُرجِ النجومِ.

ماذا بها؟
تسعلُ في الليلِ– سعلة – الصدْر المهيضِ
ماذا بها؟
وكلّ مخلوقٍ غطّ في مهْدِ غريضِ
الموتَ؟
لا فما تزالُ العذراءُ حمرا الوجنتين
والصدرُ مملوءاً بأحلامٍ ضَمها في موجتينِ
المخدعُ الساجي
على أرضه دمُ الصدر الجريحِ
من من تنادي؟
أيّ إنسانٍ يستجيبُ دعوة العاني؟
تدبَ أطيافُ مسوخٍ
وتنشُرُ الأكفانَ في صمْتِ
تهمسُ في مسمعها
«قومي واستعدّي لرؤى الموْت
قومي وكسّري صليب الظلالَ فوق قمّةِ الألمِ
لاشيء يبقى
تحت أسنان الموت تبلى مُضْغةُ العدَمِ
الليلُ مسودٌ
سوادَ الظنون في رأسٍ ضليلِ
وهوّةَ الذكرى
بها أحجارٌ من الأمس الذليلِ
لاشيء يبقى أيُّ شيء.
الآدميون هباءْ
وكلّ شيءٍ من هباء
حتّى الرؤى قبْض الهواء.

مضت سنونٌ
مذ قتلتُ الجمال في نفسي المريضهْ
مضت سنونٌ
وأنا مجهولٌ بصحرائي العريضهْ
كأنَّ عينَي تشيران
نحو أضلاعي الجَريحهْ
الدودةُ البيضاءُ تخشاني
مثلما تخشي الفضيحهْ.

١٤ يونيه ١٩٥٠

يوميات كافيتريا رويال

I

سمراءُ يغسلُ الجفونْ
غديرْ
إتّخذتْ رُكْناً قصياً عن عيون الجالسين
كالنغمة الحزينهْ
وأمسكتْ مجلةً تخفي بها وجهاً حزين
تعضّها السكينهْ
أمامها مائدةٌ زرقاءُ تبدو للعيون
في زحمة الشجون
خمارةٌ خاويةٌ، ثملى بتهويم الظنون
في مخدع المنون
في يدها كأسٌ دمي مرتعش الموج سجين
كالزورق الضليلْ
في ليلةٍ قارسةِ البردِ لريحها أنين
كصرخةِ القتيلِ
تموتُ موسيقى المكان مثلما ماتت لحون
عصفورها الكسير
وهي على المائدةِ الزرقاءِ يطويها السكون
في مدفنِ الزهور.

سمراءُ في رُكني الدفينْ

قبورْ

الساعة ٧ مساءً، الخميس ٢٩ يونيو ١٩٥٠

II

وردٌ بقُبّة الضريحْ
مقيتْ
وراء أستار الرؤى وتحت أكفانِ الضياءْ
في قاعةٍ غريبهْ
قد سحبتْ ذيْل الظلامِ واستوتْ في خُيلاء
فضيحةٍ قريبهْ
المقعُد الليّنُ تحتها ترامى في ارتخاء
من يحضُن الغمامهْ
كأنّ ثوبها النقّي في الظلال والرّواء
عُشٌ به حمامهْ.

تلوح في مائدةٍ خصيبةٍ خصْبَ الفضاءْ
براعمٌ صغيرهْ
تأكلُ من صدرٍ غضيضٍ أثقلتْه بالغذاءْ
غمائمٌ نضيرهْ
القاعة البيضاءُ غشّاها دُخانٌ، والصفاءْ
لُفّف في ضبابهْ
والمقعدُ الوردىُّ غام في تهاويل المساءْ
تُرعشُه الكآبهْ
دُخانُ مصباحٍ قديمٍ زيتُه دمٌ وماءْ
من عرقٍ تخمّرْ

مشكاتُه السوداء في قبوٍ بعيد كالسماءْ
وضوؤه مبعثَرْ
تصاعد الدّخانُ كالوشاح ينهشُ الحياء
والعفّة المريبهْ
ذوائباً زرقاءَ في عصائبٍ لونِ دماء
سيجارةٍ كئيبهْ.

أجراسُ ناقوسٍ جريحْ
تموتْ.

٥ يوليو ١٩٥٠

III

فوقَ الرخامِ منْدلينْ
لقيطْ
قد انفجى البابُ وشعَت زُرقةٌ خلف الستورْ
وحلّقت حمامهْ
وأغرق الصالةَ دخْنٌ وسكوتٌ.. كالقبور
تلفّها القتامهْ
مقاعد.. موائدٌ وبعضُ أصنامٍ تدور
فقّاعةٌ طفيفهْ
هياكلٌ تُلَطخُ الجوّ بأنفاسٍ تفور
في ظُلمةٍ كثيفهْ
وتلك موسيقى صداها يغتذي صمْت الضجورْ
في زحمة الخليقهْ
ظلالُ أطيافٍ على الحائطِ تُلقي في الشعور
حجارةً رقيقهْ
هفا إلى المقعد كالسكّير في حانٍ أثير
حين يرى شرابَهْ
وغاص في غوْرٍ من التفكير مفضوحِ السعير
دُخانه كآبهْ.

لما أتى القاعةَ.. من يشربُ عامود البخورْ
ويقتفي سرابه؟
كانت هنا.. نعمْ، ومذْ دقيقةٍ كانت تسير
كأنّها سحابهْ
المئزرُ الأبيضُ رفافٌ كمخدعٍ وثير
مُضرّجِ الستائرْ
البابُ مُقْفلٌ، وخلف الباب مقرورٌ حسير
ينهشُ بالأظافر.

صحا .. صحا الآن على قرعٍ لناقوسٍ كسير
وهزّ مندلينهْ
قمْ أيها الضائعُ قمْ..صوّح أبراجَ الصبير
جوائحٌ حزينهْ
القاعةُ البيضاءُ مازالت وقد فاحت عطور
وحلّقت يمامهْ
ماذا هنا.. حُلْمٌ غريرٌ.. إنّه حُلْمٌ غرير
تُرضعه السآمهْ.

تحت الدجى.. فوق الحزون
حنوطْ.

مساء ١٤ يوليو ١٩٥٠

IV

ظَبْيٌ بصحراء السكونْ
يشوخْ
صحراءُ في ظلمائها تموتُ أفراخُ الطيورْ
تُحرقها السمائمْ
صحراءُ ... ما فوق الرمالِ هل غزالٌ ذا غرير
على الكثيب جاثم؟
قافلة تسيرُ في القفار... حتّام تسير
وقبضُها قريبْ
إلى الظلام، فالظلام للمجانين مصير
ومنتهى رهيب
حادي الزمانِ عُجْ بصحْنِ دارها قبل المسير
في هوَّة الغياهبْ
إليك مزماري رضيعَ الليلِ والصمْتِ المريْر
بين الظلالِ راهبْ
أغنيةٌ غنّاءُ ياحادي وبعدها يغور
في الرمل ظلٌّ سارب
سينتهي كالصرخة الصمّاء في وادي القبور
تُرثي له الحباحب

قد غيّمت أُفقي الحزينْ
مسوخْ.

V

فيَ الركنِ.. في الركنِ البعيدْ
غريبْ
يجلسِ وحده كما يجلس في عرض الطريقْ
مضلّلٌ تعيسْ
ينظُر حوله فلايرى سوى نهْرٍ عميق
بسطْحه رؤوس
الحانة الزرقاءُ والأضواءُ والدخْنُ الرقيق
والمقعدُ القديمْ
الناس صنوانِ وزوجانِ.. يعبّون الرحيقْ
وهو بلا نديم
مائدةٌ فارغةٌ.. لا كأس.. لاساقي يُريق
له دمَ الكروم
حرّانُ والعنقود في داليةِ الوادي السحيق
فآه لو يدوم
تمرُّ ساعةٌ وأخرى وهْي في الغابِ الغريق
تُفقّئُ الزنابْق
لم تأت بعدُ وهو مصلوبٌ ورا بابِ الشروق
تحت الضباب غارق.

VI

عصائبٌ دكْناءُ تعلو كالدخانِ من جيوبْ
مدخنة كئيبهْ
لفائفٌ تُحرقُ. في الظلماءِ تبسطُ القلوب
تأكلها الرطوبهْ
المفزعُ الأخضرُ موحشٌ كمرقدٍ كئيب
لشاعرٍعجوز
يموتُ رجْعُ الصوتِ موْتةَ المعلّقِ العروب
وتحته كنوز
أسمع موسيقى فأغفو وسط فردوسٍ خصيب
مخْضوضر الجداولْ
أنامُ فوق ربْوةٍ شقراء في وقتِ الغروب
بحضنها جداول.

وبعد لحظةٍ غمسْتُ الجفْن في نهْرٍ صبيب
هنيهةً بريئهْ
كأنَّ إبريقاً مسيحاً بالضياء والطيوب
في حانةٍ مضيئهْ
بسطتُ راحتي فشعّت زرقةٌ بين الثقوبْ
ولوّحت أصابعْ
ولاح في النور قميصٌ أسودُ الخيطِ خضيب
من خلفه براقع.

وبعد تخديرٍ بليدْ
يؤوب.

مقاعدٌ موائدٌ وبعضُ أصنامٍ تلوحْ
كأنها حجارهْ
ورجعُ موسيقي حزينٌ مثلُ ناعورٍ ينوح
ينوحُ في مرارهْ
المقعدُ المألوفُ والشرابُ والصمتُ المسيح
والقهوةُ المريرهْ
سيجارةٌ و ثُمّ أخرى ينطفي وهْجُ القروح
في دُخْنةٍ غزيرهْ
الطائرُ الأزرقُ في عُشٍّ، كتمثال طريحْ
مهدّلُ الجناحْ
منقاره الأحمرُ فاغرٌ كأنّه ضريحْ
في مرقص الرياحْ.

وحدي .. ألا ترِيْن أنّي من صدى الأمسِ الذبيحْ
تميمةٌ غريبهْ
ماتت ورودي في سكونٍ وأنا وحدي أبوحْ
في لهجةٍ مريبهْ.

صحراءُ يا تيه الوجودْ
وداعْ.

ضجّت رياحُ الصمتِ والدجْناءُ ماتت والغيومْ
في قبضة الزمنْ
ستعْولُ الأجراسُ والقيثارُ في الركنِ البهيم
مُلقى بلا كفنْ
النور مفقودٌ كفردوسٍ ترامى في الجحيم
وخلف الظلالْ
لاشيء غير الظلِّ والأكفانِ والصمتِ العقيم
يضمها خيال
صحراءُ صحراءُ أنا الضائعُ في تيه النجوم
وقُنّة الزمانْ
رضعْتُ من رقطاء كانت تحت عطْفيّ تحوم
وتنفثُ الدّخانْ
هذا أنا وحدي، وإن ترين في رُكني القديم
ضفادعاً كئيبهْ
اليوم أمضي في طريقي قاصداً حتمي الأليمْ
وسدرتي المهيبه

صحراءُ، أالليلَ أعودْ
وداعْ.

٢٠ يوليو ١٩٥٠ في الكافتيريا رويال



سرنباد

«ميدان كاردوتشي في الليل»

أنا في الطريق وهل سوايَ في الطريقْ
الليل مخضوبُ الظلالِ كأنه لحس الدم الدفيق.

والأرضُ تحتي هُوّةٌ سوداءُ ثَمّ حجارةُ السكونْ
ألقيتها في زحْمةِ الآلام أضغاثاً من الشجون.

فتساقطتْ في ضجّة المحمومِ حين يكمّه الظلامْ
والنْهرُ،نهْرُ الصمتِ يرغي، والزوارقُ فوقه حطامْ.

تلك الفوانيسُ الثلاثةُ تُغرقُ الميْدانَ في كآبهْ
مثلُ العوانس شاحباتٌ، والبريقُ يغيبُ في سحابهْ.

وبقربها الحنطورُ سُمّر في انتظار ربيبه الغريبْ
الشمسُ غابت، والمساء أتى، ولم يلمسْ ثرى الدروب.

وحصانهُ المتعوبُ ينتظرُ المبيت بظلمة الحظيرهْ
والسائق المنكود يخشى أن تضيع اللقمة الحقيرهْ

إنّي أسير على الطريقِ كطائفٍ في فدفد الملالْ
أقتاتُ من ومضاتِ مصباحٍ تراقص رقصةَ الزوال.

في النار، أشباحٌ من الماضي تمرُّ بمحجري دُخانْ
أستافُ منه لُهاث عصفوري المعلّقَ في رُبى الجنان.

أنا ذا أسيرُ ولا أرى حولي.. سوى الحنطور والحصانْ
قد مدّ رقْبته، وسائقهُ ضجورٌ، أصفر اللسان.

أنا ذا أدبُّ بظلّه الممدود كالمحمومِ لا أُفيقْ
أبداً أدبُّ مع الرؤى، سكْرانَ والأوهامُ لي غبوق
قد جئتُ لا أدري لماذا جئتُ، هل لي ها هنا صديقْ؟
الظلمةُ البيضاءُ تحرقني وتطرحني على الطريق
وتُعيدُ لي خطواتُك الخضراءُ موسيقى المسا البعيدْ
نقرات حنطورٍ يعود إلى الحظيرة خائراً بليد.

وتعودُ بي الذكرى إلى الماضي وأحلام الصبا الكئيبْ
فأرى بقرب قميصك المنهوشِ كوبي في الثرى يغيب
أنا ذا أدبُّ بَقرب بيتكَ واجماً كالدائص المريبْ
متأمّلاً ميدان كاردوتشي بظلّ سكينة المغيب.

تهتزّ جُمحمتي لذكرى قطّةٍ كانت هنا تموتْ
فإلى متى أحيا ورأسي في الترابِ ومرقدي مقيت؟

٨ أغسطس ١٩٥٠

بورتريه امرأة I

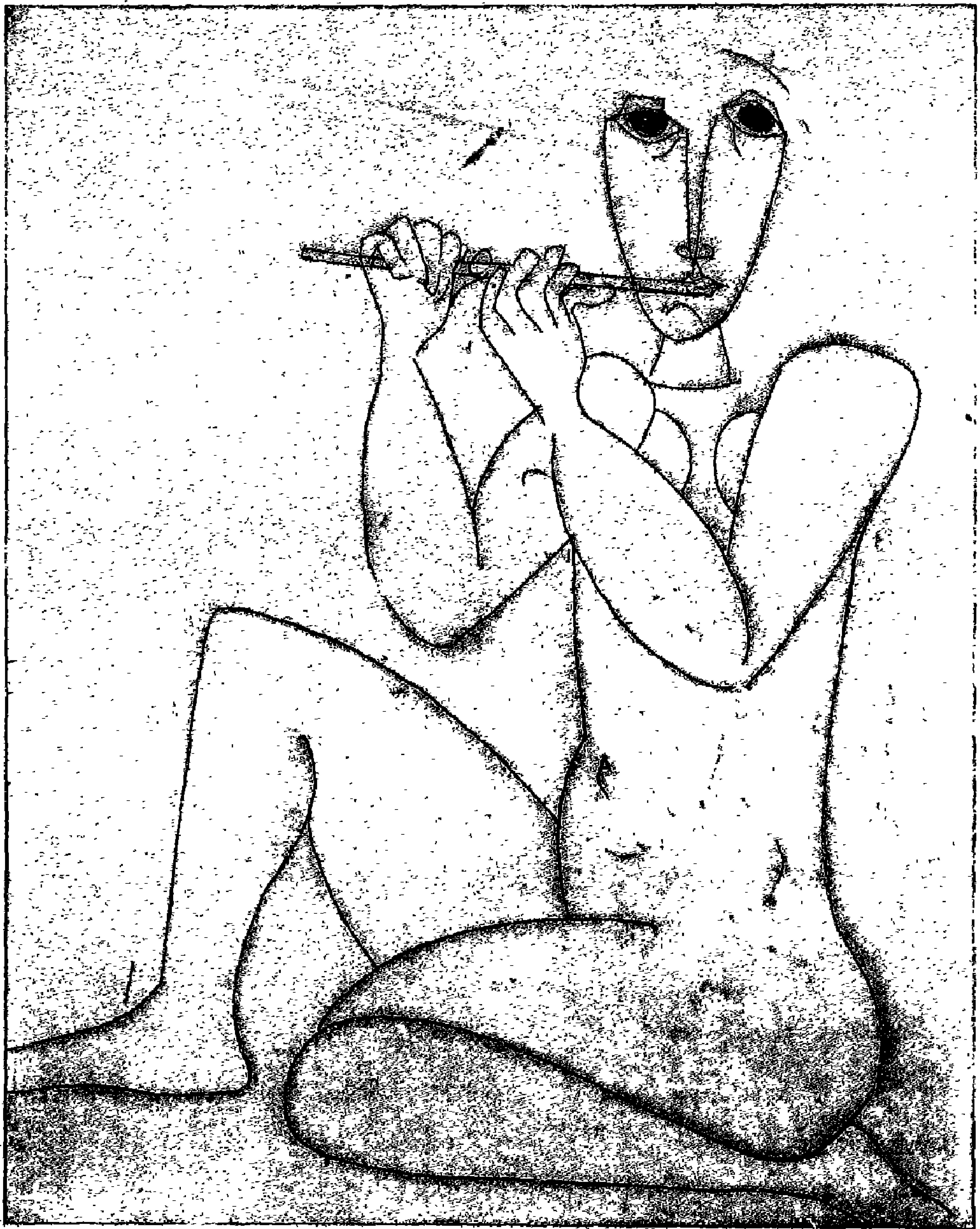
إمرأةٌ خضراء تلهو في ضفافي القاتمهْ
ألقت وشاحاً أزرقاً فوق الورود الناعمهْ
وأيقظت حمامةً كانت بصدري نائمهْ
همّت إليها واسبطرّت كالطيوف الواجمهْ
فتحتَ ثدييها تحومْ
وحول عطْفيها تهيم
أمٌ رؤوم.

ألقتْ ظلالاً في طريقي واستقرّت كالخيالْ
تشرب من نهري وينبوعي ولي منها الظلال
امرأةٌ خضراءُ في ذراعها ثَرُّ السلال
إذا تدلت فوق دربٍ نبضتْ منه الرمال
فتحت ثدييها تحومْ
وحول عطفيها تهيم
أمٌ رؤوم.

كانت تُغنّي عندما كسرتُ قيثاري الحزينْ
كانت تغنّي من أسى غناء عصفورٍ سجين
فأيقظت قلبي المدمّى واختفت خلف الدجون
حمامةٌ كانت بحجري مذ سنين.
فلا أنا صنو السكونْ
ولا بحضْني مندُلين.
ليلُ الجنون.
نشقتُ من أقدامها عبير أحلامي الغريبْ
وكاد في وشاحها الهفهافِ أقدامي تذوب
وشاعِ صوتها وناقوسي بصَدري يستجيب
فعشْتُ في نفسي دهوراً لا أعي سرّي الرهيب
فلا أنا صنْو السكونْ
ولا بحضني مندُلين.
ليلُ الجنون.

بل شاعرٌ يقبعُ في خَمارةٍ تحت الظلامْ
وفي يديه كوبه المبعوجُ رمزٌ للأُوام
يشكّل الدخانَ أجساماً عرايا أو عظام
ترقص في دوّامةٍ حتى ترامى في الغمام
فتحت ثدييها تحومْ
وحول عطفيها تهيم
أمٌّ رؤوم.

ليلة رأس السنة ١٩٥١



الدّورق

دورقُك المفقودُ أعيا طائري المعصوبْ
وكم سَقاه من رحيق المرضع المنهوب
عطشانٌ في صحراء ليلٍ باردٍ حلبوب
تنزفُ من عينيه أنجامُ المساءْ
فيستحيلُ الأفق قبراً في الدجى مرهوب
عليه وردٌ وقميصٌ أسودُ مثقوب
وقطةٌ بقرْبه تموءْ
مُواءَ قلبٍ راعشٍ في مطْهرٍ مشبوب.

الطائرُ المعصوبُ كالتمثالْ
يرنو إلى الصحراءْ
يستنطق الجبالْ
كالشاعر المأخوذ في غمْرٍ من الزوال.

دورقُك المفقودُ نهرٌ مائع الظلالْ
يظنّه الطائرُ نبعاً فيْضه زُلال
ويبتغيه كلما ينبو به الملال
فيستحيلُ النهرُ عذراءَ بلا سربال.

الظُلَمِ الزرقاءُ فردوسٌ من الدّخانْ
قبعتُ فيه فاعترتني رعشةُ الزمان
وخلْتُ قلبي في جثامِ أهوجِ الطوفان
يدورُ كالريشةِ أو كالطائرِ السكران.
في مرقصٍ معلَقٍ مهّدم الأركانْ
في صحْنه أراقمٌ تجري على الجدران
لها صفيرٌ خافتٌ يموجُ بالأحزانْ.

كرعْدتي إزاء حُلْمٍ جامدٍ عريانْ.

امرأةٌ تجرّدت عن ثديها المستورْ
ترقصُ رقصةَ الأفاعي والدجى منشور
وثديها عريانُ ملقى في فم مسعور.

امرأة ترقصُ كالأفعي على الطريقْ
لعطرها الأسودِ دخْنُ الحلُم المحروق
وشاحها الأحمرِ وهجٌ من دمٍ أُريق
يومضُ والنيرانُ تُذكي وجْمةَ العشيق.

هزّاتُ نفسٍ ترتمي من سوْرةِ الرحيقْ
في قعْرِ نهرٍ أبيضٍ خافٍ فلا تُفيق
في اللجّةِالبيضاءِ ألقتْ دورقاً رقيق.

طال انتظاره مع الليلِ والنهارْ
ترشّه الكآبةُ القتماء بالغبار
كأنه تحت السماء مُزنةٌ من نار
مرّت عليها الريحُ فانهالت بها الأمطار
ففي قِباء الوعْي من لهيبها أنهار
تجري بأدغالٍ بها من وحدتي أستار

عوالمي أبراجُ نسْرٍ كاسرٍ غريبْ
ومكْنتي حريةٌ هوجاءُ لا تغيب
هي القلاعُ في خضمٍّ مزبدٍ مرهوب.

بنهرك الممدود تنسابين في سكونْ
بين ذراعيك وليدُ الصمت يستكين
يعضّ ينبوعاً خفياً مغلق العيون
بقرب عصفورٍ حزينٍ ينقرُ الجفون
ويغمسُ المنقارَ في غورٍ من الظنون
عساه يقنصُ الوجودَ النابضَ المكنون
ويرتمي في لُجّةِ الحياةِ والجنون.

عذراءُ.. يانهَر الوجود المائعَ الرقراقْ
النورُ في هُدْبي وقلبي مُظْلمٌ مقلاق
أراك تنسابين في نفسي وفي الأعراق
كنشْوةِ الدرويش في غيبوبة الأشواق.

تهزّني موجاتُ ضوءٍ غامرِ الإشراق
وتحتويني أذرعٌ زرقاءُ في عناق
ودورقي المكسورُ يبدو في يدي دُهاق.

ظمآنُ ظمآنٌ إلى دمي
دمي المهْراق.

إبريل ١٩٥١

الليل

I

أجراسُ الظلمة صاخبةٌ
وعواءُ ذئابٍ منَطلقه
ودبيبُ الساعةِ مرتعشٌ
وصدى أحلامَ محترقهْ.

وأطلّ من الشبّاك
فألفي القطةَ رعناءَ نزقهْ
رقدت والليْل دخانٌ كثٌ
تنشُر أكفاني غسقهْ
وكأنّي وهيِ تنامُ
أرى أطياف جثام معتنقهْ
الليل يرفٌ وقمقمهُ
يطوي في هوّته حدَقهْ
كالمصباح الخابي
تومضُ في وهنٍ وتَراقصُ منغلقهْ
في رقصة زنْبقةٍ
تطويها الرِيح وتنشرها
ورقهْ.

كفني والظلْمة أجراسٌ تعوي
موسيقى مختنقهْ
وورودٌ
الأفعى تمتصّ حُميّاها، الأفعى الشبِقهْ.

II

عادت تتراقص في حضني
والطائرُ مدّ لها عنقَهْ
فإلام أخافُ فضيحة أمسِ
وذا قلبي يطوي أفقهْ

كفني ياقلبُ سأنشره
وألفٌّ به أُختاً عبِقهْ
وأسير بها

كالخالق يحمل هشْمَ حبيبٍ قد خنقهْ.

٢٧ يونيو ١٩٥١

بورتريه امرأة II

الوردةُ والصمتُ المنغومُ ظلالُ حُلُمْ
حُلمي.. بل خبزي الأسودُ قُربَ نبوعِ نغم
والزرقةُ والكنزُ المخبوءُ وراء سُتُرْ
مرآةٌ تعكسُ صورة إبريقٍ وسُرُر
الإبريقُ الشفّافُ ظلالٌ مرتعشهْ
كقميصك يمزقه السكرانُ إذا نهشهْ
ووشاحُكَ رقصته في النار لهيبُ ظُلَمْ
ورمادٌ كالليل الموعودِ يفيضُ سُدُمْ
تطويه الريحُ فيفلتُ عطرٌ من عنُقكْ
فأمصّ لعابكِ سيّدتي وجنى غرقك.

وأضُمُّ مراضع عاريةٍ في النور بدتْ
كالموجةِ تهدرُ كالخطوات إذا ارتعدت.

خطواتُك ثَمّةَ تتساءين بصيصُ شفقْ
وبظلكِ سَيّدتي ينبوع دم وعرقْ.

٢٣ يونية ١٩٥١

دُخان

عصائبُ دخْنٍ بلون المساءِ
مسائي الحزين
وصمتٌ بعيدُ القرار كئيبٌ
كرجْعٍ دفين
وراء الزجاج جلستُ وحيداً
عسى تنظرين
أفكّر في أُمنياتٍ تراءت
بحضن الدجون
وطيرٌ مهيضٌ يلمُّ الجناحَ
حسيرَ الجفون
يرى عشّه موحشاً والرياحُ
تهزّ الغصون
فيهدلُ في غُصّةٍ وارتعاشٍ
هديلاً حنون
ألا تسمعين صداه الأليم
ألا تسمعين؟
لقد شاع سيّدتي..كالظلامِ
وضمّ السكون
فخلْتُ الزجاجَ دُخاناً كثيفاً
عميقَ الغضون.

وخلف الضباب تحتُ انبثاقاً
يشفُّ الجبينْ
يداك سحابٌ غريقٌ وقلبك
نهرٌ سجين
وعيناك فجْرٌ غضيضٌ يفجّرُ
ضحْلَ العيون
وعطرك سيّدتي أزرقٌ
كالمساءِ الرهين
تطاير حتى ادّكرتُ انتظاري
ألا تذكرين؟
فموعدُنا هاهنا والمساءُ يجرّر
ذيْلَ الفتون

أنا ذا اعتصرتُ المرائي بقلبٍ
جفتهُ السنون
فعدْتُ إلى مرقدي لا أعي
من أنا، ما أكون.

فبراير ١٩٥٢

موعد وزائر

أشعلتُ من أجفانك الزرقاء مسرجتي الضريرهْ
وقضيْتُ أمسيتي وحَيداً أُخمدُ الحُرَقَ المثيرهْ
الظلمةُ الخرساءُ أستارٌ مهدّلةٌ غزيرهْ
ومسابحُ الذكرى براحٌ يخنُقُ الإمساءُ نورهْ
العطرُ يزحفُ في سكونٍ والدجى يُدلي ستوره
وبمرقدي المهجورِ أسمعُ طرقةً ولهى قصيره.

من زائري؟
أيدقُّ بابي جائعٌ؟
أنا جائعٌ.
أغلقتُ بابي دون نفسي والنفوسُ مفازعُ
ورضيتُ أعقاب اللذائذِ والرغابُ زوابعُ
من زائراي؟
أيدقُّ بابي جائعٌ؟
أنا جائعٌ.

وذكرتُ موعدنا وأمواجُ السكينة بالزوارقِ حائرهْ
ولرجْعِ خطوك في الطريقِ هفيفُ ريحٍ عاطرهْ
تتعثّرين وللظلالِ أكفٌّ أمٍّ خائرهْ
وعلى المدى الممدودِ أطيارٌ ترفرفُ هادرهْ
ماذا بها؟
ذكرى فجيعةِ شاعرٍ فوق السحائب عابرهْ.

وأنا.. أنا في غمْرةُ الأحزانِ أنهشُ مُهجتي
وأرى لياليّ الكئيبة في زوايا غرفتي
وتسكّعي عبر الدروبِ وفي الظلام وشاحُ قلبٍ ميّتِ
فأضمُّ قيثاري إلى صدري وأطلق زفْرتي
الأمسُ عكّره انتظارٌ مؤلمٌ، واليوم ها أنذا أُعكّر ليلتي
فلمَ انتظاري؟
لاَ أرى الوقت المهدّدَ يمهلُ ساعتي
أفتذكرين؟
أنا لا أخافُ سوى السأمْ.

أطعمتُ قلبي جرسك المبحوحَ سيدّتي الغريرهْ
وضفرتُ من ماضيكِ في سحبِ الكآبةِ لي ضفيره
وشممتُ عطركِ فاعترتني قشعريره
وذكرتُ موعدناَ وكيف نسيتِ لي يوماً نظيره
فسمعتُ طرقاً فوق بابي، موهناً،
من زائري؟
ولما يعودُ؟
أنا بعيدٌ لا أحاولُ أن أزورهْ.

٢٠ مارس ١٩٥٢

وحْي

بئرٌ سحيقْ
كالفجْرِ مجهولُ القرارْ
الليلُ يصَلُبُ واحتي،
ويكمُّ قُبرتي الدوارْ.
ليْلٌ عميقْ
كالقبْرِ أغلقه الملالْ.
تتساقطُ الأنجامُ، تلقُفها الرمالْ
وتضيعُ والعصفورُ يجثو في انذهالْ
متوجّساً،
والقطُّ يلهث في انتظارْ.
صحراءُ عاريةُ الكثيبْ
زرقاءُ - كالعصفورِ - زرقاءٌ مهوبْ
أبداً تناوشها الهبوبْ

صحراء ينشرها الوجوم.

٨ مايو ١٩٥٢

الواحة

قللُ الرمالْ،
ورؤوسُ قافلةٍ يُغيِّبها الضبابْ،
تسري بتيهٍ مُقبضٍ،
عكرٍ كرؤيا الأشقياءْ.
لانهر منطلقٌ، ولاعُشْبٌ خضيّر،
قنَةٌ عصفت بموقدها الدجونْ.
وتعصّبت بعصائبٍ،
ألوقتُ يحرقها فينتثر الهشيمْ.
في قبضتي.

ورقاءُ ورْقاءٌ ملولْ
تنداحُ من أفُقٍ يُغشّيه الذبول.
رقدت تُدغدعها يدي،
فتذوبُ في دَعةِ الوليدِ.

الجدار

I

في ليلةٍ سوداء كنّا نختفي خلف الجدارْ
نتلمّسُ الأحجار في صمتٍ ونطرق في انكسار
لاشيء يفزعنا سوى أقدامهم،
توشي بنا، بالعار، آه وأيّ عارْ.

II

بيديك كانت فلذةٌ بيديك من قلبي الكسيرْ
مزّقته ونشبت فيه أظافر الذئب الضريرْ
فوضعتُ رأسي في يدٍ معروقةٍ،
عجفاء تحرقها الشرور
وصرختُ فيك تحسّسي
بيدي جُثامٌ، لا أطيقْ
هاتي يدكْ
أنا لا أطيقْ.

وظللتُ أزعق قرّبي، رأسي تفورُ به العروقْ
هلاّ قذفت به بعيداً في غياهب وحشتي،
في ظُلمةِ المجهولِ في عرض الطريق.

III

وسمعتُ أقداماً يضجّ بها السكونْ
كصهيل خيلٍ هيّجتها النارُ في حلكِ الدجون
كعواء ذئبٍ أجربٍ،
ينسلُ في صحراء لانهر يموجُ بها، ولا طيرٌ يبين
صحراءَ من ماءٍ وطين.

IV

قلت الظلامُ يحوطنا
«أنا لَا أخافْ»
ودنوتُ منك،ولامستْ كفّي رداءك خلسةً،
وعبرتُ واحَاتٍ تموتُ من الجفافَ.
وأهلتُ فوق حِقافها، مافي يدي،
شيئاً ثمينْ.

V

وتتابعتْ أقدامُهم في الليلِ، في الليلِ الكئيبْ
ودنوْتِ منّي بَغتةً، في رعدة المحمومِ تلفحُه الهبوب
وهمستَ «سوف تدوسنا أقدامُهم»
وكسا محَيّاكِ الشحوبْ.

وتتابعتْ أقدامُهم،أقدامهم
في الليل، في الليل الكئيبْ

وعلا صياحْ
وصدى غريبْ
«أنا لا أخافْ»
وفؤادُكِ المذعورُ يلهثُ في يدي.

VI

ورقدتِ في ظلِّ الجدارْ
كبصيصِ نورٍ خافتِ
ينداحُ منْ شبّاكِ بيتٍ قد طواه الادّكارْ
بيتٍ قديمْ
يوحي بطول الانتظار.

VII

ورأيْتُ جسمكِ دون ريْطٍ أو دثارْ
عريان في عُرْيَ النجومْ
وسمعت حسّكِ في هميمْ:
«قرّبْ إليَّ،
لن يرقبونا، لن يروا شيئاً يُشين،
غير اعتناقٍ لايدوم.»
ورضعتُ أثداءَ المساءْ
وشمْمتُ نافجةَ السكونْ
وشعرتُ أنّي لم أعدْ أخشى الفناءْ
وجناك أثمار المنون.
وسمعتَهم يتخبّطون على الجدارْ
كالظلّ يسقطُ في انكسارْ.

VIII

وضمْمتنيِ في غُلمةِ، ونفثت في قلبي سمومْ
فنسيتُ جرمي، وانكفأتُ علَى صليبْ
وخبرتُ آلامَ المسيحْ.
وسمعْتنِي أبكي وأهذي لن يروْا شيئاً يُشينْ
قد ننتهي في غفْوةٍ، قد ننتهي، هل تسمعين؟
وصرخت «إنا لن نموتْ
هذا الجدارُ يردُّ أظفار المنون
هذا الجدارْ.»

وسكتُّ فانسلّ السكونْ
في غورْ أعماقي وخامرني جنون
إنّا نموتُ ورا جدارْ
إنّا نموتْ.

IX

ونهضت يخنقُكِ ارتياعٌ أخرسٌ،
إنّا نموتٌ
ونسيت أنّك سدْرتي، بيديكِ لي خبزٌ وقوتْ
ورحلتَ، خرَساءَ العيونْ
في مقلتَيكِ تثاقلُ القطِّ الحزين.

X

وبقيتُ وحدي، فى اكتئاب الطيرِ، في فصْل الشتاءْ
كالواحة الجرداء، يخنقني الخواء
وخيالكَ الملعونُ رفَّ على الجدارْ
كالحُلْمِ في جفْن النهار
كالحلْمِ منهوب الثمار.
وطفقتُ في غيبوبتي
أتلمّس الأحجارَ في صمتٍ، وأُطرقُ في انكسارْ
وبمسمعي يتردّد الصوتُ الحزينْ
«لاشيء يفزعنا
سوى أقدامِهم
توشي بنا
بالعارِ،
آه
وأيَّ عارْ».

اعتراف

I

قد تسألينْ
مرآتك الخرساءَ.. هل وجْهي كئيبٌ في النهارْ؟»
وتحْملقَينْ
وتهمهمين وللمقاعدِ والجدار
عينٌ كعينكِ لاترى نورَ النهار.

الوردُة البيضاءُ ناحلةٌ، كوجهك ياحبيبةُ في النهارْ
«أحقيقةٌ وجهي كئيبٌ في النهارِ؟»،
نعم كئيبٌ ياحبيبةُ في النهارْ

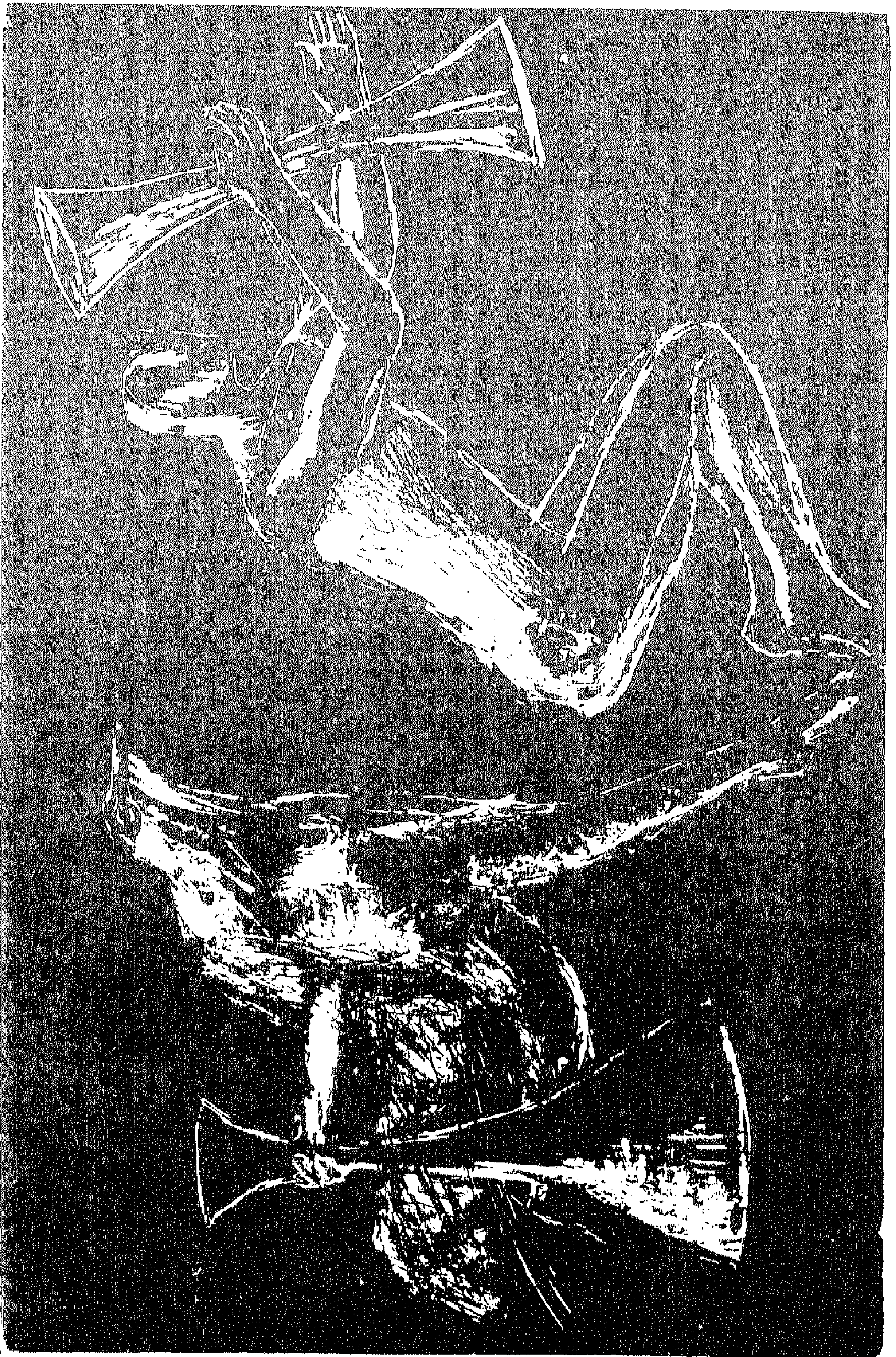
II

لاتدمعي
قد تبحثين عن القمرْ
عن قطةٍ حمراء كانت في الليالي الزُرقِ تلتهمُ القمرْ
عن غُنوتي،عن بيت أحلامي المسوّر بالخضَرْ.
عنّي هنالك حيث كنّا نلتقي
تحت المصابيحِ الكليلة والمدينةُ غيرُ حافلةٍ بنا.
كُنّا كأظلالٍ ترفُّ على الطريقْ
لا نعرفُ الخجل العميق.

III

اليوم، لاجدوى فقد أدركتُ أنّي في الفراغْ
حُرّيتى وهمٌ وأحلامي جلا عنها الصباغْ
أنا في الفراغْ

ياأُختُ مذ أمدٍ بعيدْ
خدعَتْك أشعاري القديمةُ والتغنّي بالوعودْ
أنا لم أعَدْ للحبِّ، والأحلامِ والنجْمِ البعيدْ.



إسكندرية من بعيد

كُثبانُه خُضْرٌ صخورُهْ
أصدافُه خُضْرٌ كنوزُهْ
أعماقُه خُضرٌ نجومُهْ
من لازورْدْ.
أرجُلهم في الماء أشجارٌ بلا ظلالْ
وهمْ يشدّون شباكهم
ويسحبون السفنَ البيضاءَ بالحبالْ.
محارةٌ شمسٌ محارةْ
شمسٌ وأسماكٌ مشعّثهْ
تقعي على الرمالِ،
في دكانِ سمّاك،
أمام مطعمٍ صغيرْ.
تموتُ في الأقفاصِ والسلالْ.

وراءهم مدينةٌ تجثو على الساحلِ في سلامْ.
ترقى سماءها نوارسٌ حمْرٌ
وصيحاتُ بواخرٍ تُقلعُ للشمالْ

هناك لي هناك منزلٌ
وكان لي حبيبةٌ
وبعضُ أصدقاء.

بغداد ١٩٥٤



١٩٥٤

العودة

يا أمُّ هل جاء القطارْ؟
أرأيت فوج العائدين بلا متاعْ؟
أسمعتَ أقدامَ الجنود على الرصيفْ؟
أسمعتَ أقدامَ الجنودْ؟
أولمْ يقولوا الليلَ يأتي العائدون من القتالْ؟
ويعودُ للبيْت المخرّبِ عائلُ البيْتِ البعيدْ
أيعود حقاً عائل البيتِ البعيد
أيعود للأطفال والأمِّ الهزيلة، وهو يومئ بالرغيفْ؟
وتحيطُ كفّاه أباه المقعدَ الضاوي العجوزْ
أيعودُ للغرف الكئيبة بعضُ ضوضاء الحياهْ
فتضجّ بالصيْحات، كالأمسِ القريبْ
صيْحات طفلٍ جائعٍ،
ومواءُ أمٍّ ضاع من أثدائها نبْعٌ شحيحْ.

أيعود حقاً، هل يعودْ؟
إنّي مررْتُ بهم،
بهم في الحارة الكأباء مُذْ وقتٍ قصيرْ
فلقيتُهم خلف الشبابيك العتيقة ينظرون إلى الطريقْ
وأمام أبواب البيوت، تجمّعتْ كُتَلٌ وأحجامٌ تحدّق في الفراغْ
وعلى الطريق سمعتُهم يتهامسونَ:
متى يصل القطارْ؟

ياأُمُّ هل جاء القطارْ؟
ألمحْت عامود الدخان ممزّقاً عبر الفضاء؟
أسمعتِ أنّاتِ البخارِ،

عويل سرحانٍ طليقْ؟
أسمعتِ قلقلةَ السلاسل واصطكاك َالقاطراتْ.

يا أُمُّ هل جاء القطارْ؟
- لا لمْ يجئْ بعْدُ القطار.
أولم يقولوا الليلَ يأتي بالجنود؟
قد أرسلتْني ها هنا أُميَ
وقالت لا تعدْ حتى يعود لنا أخوكْ
وسألتُ أين أخي؟
- أخوك هناك يقتحمُ القلاعَ،
يدكُّ أبراجَ العصوْر.

ولما يعودُ إذن؟ وهل هدّ المعاقل والحصون؟
هل قوّض الثكنات، هل دكّ الجسور؟
هل هدم الأسوارَ، هلَ فقأ العيون؟
هل قوّس القضبان، قضبانَ السجون؟
أأزاح عن صدر الرمالِ الأخطبوطْ؟
هل فجّر الينبوعِ في الَجبانة القفراءِ،
هل بذر الحبوبْ؟
هل حرّر الأنهار، هل جمع السنابل في الزكائبِ
واقتناها الجائعونْ؟
فلما يعودً إذنْ؟
وشارعنًا تروّعه الجريمةُ والهلعْ
عبْر الشوارع فِي الظلامْ
كُتَلٌ وأحجامٌ يُتاخمها الفراغْ
كتُل وأحجامٌ تُدحرجها الرياحْ.

أتُرى يعودُ إلى المدينة حيث ينتظر الجميْع ؟
أيسوؤه أنْ المصانع لاتزالُ تُمجُّ أطباق الدخانْ
وعلى المقاعد في الحدائقِ يسبطرّ العاطلون
يتثاءبون من الصباح إلى المساءْ.
وأمامِ أبواب الفنادقِ تحت أضواء النيونْ
قربَ المطاعمِ والمواخيرِ المريبة، يجلسون على الرصيفْ،
أمّ تهدّل ثديُها المبعوجَ بين يدىْ رضيعٍ شاحبٍ، خابي العيونْ
وزعيمُ أفاقين يلتقطون أعقابَ السجائر في الأزقّةِ والدروبْ.
متعجرفٌ فظُّ الطباعْ
يمشي كصعلوكٍ عريقْ

وعلى الطريقْ
المومسُ الشمطاءُ، كاللصّ الطريدْ
مذعورةُ الخطواتِ تخشى قسوة البوليس،
والمتسكعين.
أبداً تُحدق في الرجالِ، وترمق العرباتِ،
بحثاً عن زبون
أبداً تدبُّ على الطريقْ
أتُرى يعودْ؟

أولمْ تقلْ أمي المريضةُ وهي تسعلُ في السريرْ
الليلَ تلتئمُ الصدوع فلا تعدْ
حتى يعود لنا أخوك.
أنا ذا سعيْتُ إلى المحطةِ غير أني لم أجدْ غير العجائز والشيوخْ
فوق المقاعد ميّتينْ.

يا أمُّ هل جاء القطار؟
أرأيت فوج الراجعين بلامتاعْ
أسمعتَ أنّات البخار، وقرْع أحذية الجنودْ
أسمعتَ فرقعة الحديدْ
وصفير قَاطرةٍ يشقُّ رخام مقبرة السكونْ.

وسمعْتُ إعوالَ البخار، سمعتُ قلقلَة الحديدْ
ورأيتُ قاطرةً يعفّرها السوادْ
وشمْمتُ رائحة الصديدْ
وعفونةَ العرقِ الملوّث بالصديد.
وسمعتُ همهمةَ الرجَال، وضجّة المتزاحمينْ
ورأيتُ فوجَ العائدين بلا متاعٍ يسألونَ،
وهل لنا صحْبٌ وأهلٌ في المدينة يسكنون؟
أو مايزال الكَلْبُ، خلف البابِ، ينتظرُ الفتاتْ،
أو مايزالْ؟
وتحجّرتْ عيْنُ الفراغْ
وتشنّجت أيدي الرجال كعوسجٍ
كشواهد الجبّانة الخرساء تنشُرها الظلالْ.
وإذا بهم، بالأمّهات وبالعجائز والشيوخِ،
على المقاعد ميّتين.

ياأُمّ قد جاء القطارْ
- لالم يجئْ بعدُ القطارْ
أولا ترْين الجمْعَ،
- إبني لم يعُدْ
وأخي كذاك أخي، فأين هم العشيّة يقبعون؟
- هم في القتالْ
هم في المصانع والحقولْ.

أرأيت في ذا الجمع من ملأ الزكيبة بالسنابل والبقول؟
قد قال لي:
«أمّاهُ لن أطأ المدينة مثلما ودّعتُها خاوي الوفاضْ،
سأعودُ حراً، رافعاً رأسي، وأصرخُ من بعيدْ،
أميَ ،أنا حُرٌّ، أنا حُرٌّ طليق.

– أسمعتَ من نادى «أنا حُرٌّ، أنا حُرٌّ طليق؟»

يوليو ١٩٥٤

عاطلان في الليل

I

– قد لايجيءْ
«فلننتظرْ»
– الساعةُ الحمقاءُ دقتْ تسع دقاتٍ
ولكن لم يجئْ كهلٌ قميءْ.
قد لايجئ
«فلننتظرْ»
– الشاي في الإبريقِ عكّره الجمودْ
وزجاجتي
أولم تقلْ لي الليل في المقهى نرى الكهل القميءْ
قد لايجيء
«سيجئ حتماً لا تخفْ»
– الليلُ يصلبه الهدوءْ
وأخافُ أن غداً يعكّرنا النهارُ
بسحابةِ النورِ الكئيبْ
وغداً سيدركنا الجمود
سنحسُّ بالعرق المصفّد في الجبينْ
ونرى احتراق الرغبةِ الحمراء في رمدِ العيون
قد لا يجيء.
«فلننتظرْ».

II

«هو ذا أتى متوجساً كاللصّ، كالجرْو البليْد
أو لم أقلْ لك إنهّ الكهلُ القميء.»

III

وعلى الطريق توقف الكهلُ القميء وقال:
«كانوا ضيوفْ
مكثوا طويلاً قرب إبنٍ لي مريضْ
إبني مريض».

IV

«أترون ناصية الطريقْ
بيتي هناكْ
سترون نافذةً يلفّفها الوجومُ،
ووجه إمرأتي الهزيلْ.
فى الطابق الأرضيّ مسكننا قرب حانوتٍ صغيْر».

V

في غرفةٍ ظلماء كانوا يقبعونْ
أمٌ يغشّيها الوجومْ
وصغيرةٌ بلهاءُ غالبها النعاسْ
وأبٌ عجوزْ
يرنو إلينا في فتورْ
«هم أصدقاءٌ منذ كانوا يشردون من المدارسِ والبيوتْ
أيّامَ كانوا صبيةً لايعرفون من النساءْ
غيرَ المباسمِ والجفون،
وكنتُ أوّلَ من أراهَم نشْوة عُرْي الفروج.
ومضت سنونٌ،
ثم عادوا يرفعون رتاج بيتي في الظلامْ.»

VI

– أولم أقلْ لك إنه قزمٌ لئيمْ
أتكونُ عاهرةً تقلّب في المضاجعِ والوكورْ
وتخافُ عودةَ زوجها.
أتخاف حقاً زوجها
وشميمُ مئزرها سموم؟

VII

– لو لم أركْ
لو لم أركْ،
ما كنتُ أسرقُ قرطَ أمّي يالعينْ.
هانحنُ نسربُ في الأزقة كاللصوصْ
ومع الكلاب نروّعُ القططَ الطريحة عند أبوابِ البيوتْ
كالدائصين نخافُ صيحات الخفَرْ
وندبُّ بلاحراكِ أو هميمْ
كالدائصين.
وتقولُ لي في الليل تحترقُ النجومْ
أتريدُ منّي أن أفُضَّ زجاجتي
وأروح أبحثُ عن مبيتْ
ماذا تريد؟
في الليلِ تحترقُ النجومْ
أنا لا أرى غيرَ الظلالِ بلا جسوم
وأرى سماءً جهمةً
قتماءَ قنّعها المساءْ
بقناع شارعنا الكئيبْ

«أنا لا أطيقُ، أكادُ أسمعُ في الظلامِ،
نحيبَ أمّي في الظلامْ
أجريمةٌ هي أن أبدّدَ قرطها
وأغيبَ عنها ليلةً؟
أو لم تبعْ لي حليها في يوم عيدْ؟
كيما تُسدّدَ قسطَ مدرستي الضئيل
ووعدْتني
فسرقْتَ أمّي يالئيمْ.

أغسطس ١٩٥٤

أطفال في العيد

I

وأتى إليها باكياً في عصر يوم مكتئبْ
«أماه أين وضعت جلبابي الجديدْ
قد قال لى الأولادَ..»
- «أعرف ماتريدْ»
وبكتْ طويلاً ثم قالت «انتظرْ حتى يعود لنا أبوك.»
«أماه أين أبي..»
- أبوك، أبوكَ فى بلدٍ بعيدْ،
لكنه عمّا قريبٍ قد يعودْ.
عمّا قريبْ.

II

في مثل هذا العصر كنّا نسبطرُ على الرصيفْ
أنا والصحابُ، رفاقُ حارتنا القديمةِ نسبطرُ على الرصيف.
ونظلُّ نحلم بالنهارِ، بعودة العيد الصَغيرْ
نهذي ونجترّ الحديثْ
- «وغدا سأرفُلُ فى الجديد،
وأشتري طيارةً حمراءَ أطلقها بعيد.»
- «أمّي ستعطيني نقود»
- «وأبي سيذهب بى بعيد»
وإذا تراخى الليلُ عدنا للبيوت مهرولينْ
وعلى السريرِ نظلُّ نحلُم بالصباحِ، وفي الصباحْ.
نزهو بجلبابٍ قشيبْ،
بثياب بحّارٍ، بحلةِ ضابطٍ،

بحذاء جنديٍّ غليظْ.
ونسيرَ في الطرقِ الكبيرةِ فوق أرصفة تئنّ من الزحامْ
ونرى المدينة والفنادق والحوانيت المليئة باللعبْ
والتكْسياتُ الصفرُ تجري في الشوارع لاهثهْ
ونرى ترام الرمل ذات الطابقين، وندخل السنما،
ونفرحُ بالقتالْ
ولصوصُ شيكاجو الغريبةِ، في مواتِ الظهرِ، تقتحُم البنوكْ
وخيولُ تكساسِ العريقةِ،
حيث لاينفكُّ إعوالُ البنَادق والصهيلْ
وتناحرُ الأوباشِ في الحاناتِ حول صبيّةٍ عجفاء يخنقُها السعالْ
وظهورُ أفاقٍ جريءْ
كالأبرصِ الملعونِ يخشاه الشريفْ
ويخافه البَوليس، والمتحذلقات من النساءْ
والسادةُ المتحذلقون
وتعبُّ نخبَ قدومه
شقراءُ عاريةُ النهود،
بفخذها طعناتُ سَكّينٍ يداريها شريط من حريرْ.

ونعود نلهو في الحدائقِ،
نقطف الأزهار، لانخشى الخفيرْ.
ونثوخُ في قلب الحشائش عابثين،
ونَنْزعُ الأغصانَ، لانخشى الخفيرْ
أو نرشق العصفور في الغُصْن البعيدة بالنبالِ،
وقد نصيبُ دماغ مُرضعةٍ تُهدهدُ طفلها تحتَ الظلالْ.
فنلوذُ في الصفصافة الشمطاء،
نلهثُ كالكلاب الجائعاتْ.
وإذا جلسنا لحظةً،
سرعان ما ننسى الجريمةَ والعقابْ.
ونعودُ نلهو في الحديقة عابثينْ

ونعاكسُ الفتياتِ،
أو نُلقي الحجارةَ فوق تمثالٍ قبيحْ
ونمدُّ في النافورةِ البيضاء أيدينا
نرشّ بها الوجوه.
وتعكّر الغدرانَ أرجلُنا ولانخشى الخفيرْ
ونظلُّ نعبثُ بالزُّهور
حتّى نملَّ من الزهورْ.

ونعودُ للسوقِ المشيّد في البراحْ
ونرى الأراجيحَ العجيبة،
كالطواحين القديمةِ،
كالسواقي،
كالمراوحِ في الهواءْ.
ونظيرمليّم صدئ
نستعرضُ الفرسانَ والبطلَ المدجّجَ بالسلاحْ
ونرى أبا زيد الهلالي
يطعنُ الفرسان بالنصْلِ المهيبْ
ونرى أبازيد الهلالي
في الجبالِ
وفي السهوبْ
ونصيحُ «عنترةُ البطلْ».
فيضجُّ صاحبه بنا
«هذا أبو زيد الهلالي ياكلاب».
فيقهقه الأولادُ والمتسكعونْ.
ونعودُ للحاوي المشعْوذ وهو يقعد في الطريقِ،
يفُضُّ مخلْته القديمةَ في الطريقْ.
ويُرقَصِ الأفعى بمزمارٍ من الغابِ الرخيصِ،
وترقصُ الأفعى بمزمارٍ من الغابِ الرخيصْ.

وإذا تلفّت للوقوف،
تفرّق الجمعُ الكبيرّ.
«هذا أبو زيد الهلالي ياكلابْ»
ويقهقه المتسكعون.

وكذلك المحتال،كنّا نرقُب المحتال في شغفٍ عميقْ
ونراه يلعبُ بالورقْ
«من يعرفُ الفاجورةَ الحسناء يلقي بالقروش ولايخاف»
وتلوّح الأيدي الهزيلةُ بالقروشْ.
- «اكشفْ»
فيكشفُ عن مصيرٍ لم يكُن
إلاّ الضياعْ
في يومِ عيدْ.

فندبُّ في الطرقاتِ كالغرباءِ أخرسنا الضياعْ
وإذا تراخى الليلُ،
عُدْنا للبيوت مطأطئين،
مع العصافيرَ الحزينة، للبيوتْ...

أغسطس ١٩٥٤

عرّاف المدينة

ولأنّنا نحيا هناكْ
ونعيش في ظلُم المقاهي والبيوتْ
الأمّهاتُ على الأرائك صامتاتٌ، والرجالْ
فوق المقاعد في المقاهي صامتون.
وصغارنا يلهون في غُمر الوحولِ،
ويعبثون من الصباح إلى المساءِ،
وكلّ يومٍ يكبرون بلا رجاءْ.
لايعرفون لهم غداً.

ويقول عرّافُ المدينة سوف يدركنا النهارُ،
ونكسرُ المرصادَ في وضْح النهارِ،
نُضيء ظلماءَ البيوت، ونفتحُ الشبّاكَ،
لانخشى النهارَ، ولانخافُ من الحياةْ.
نتلمّسُ الجدرانَ في الطرقِ الكبيرة،
هكذا قد قال عرّافُ المدينة للعجائزِ والشيوخِ،
سنكسرُ المرصاد في وضْح النهارْ.
ونعيشُ في وضْح النهارِ،
ونتركُ الوطواطَ منكمشاً على الأسلاكِ يصلُبه النّهارْ.

ويقولُ عرّافُ المدينة للصغار،
«غداً ستنهارُ القلاعُ، وتسقطُ الأسوارُ،
كالجبل المكوّمِ في العواصف، ياصغارْ»
فيحملقون من التصدّع والدوارِ،
وكلُّ قلبٍ واجفٍ يخشى غداً.
- «ياشيخُ بطني فارغٌ
وغداً أموتُ ولا أرى نورَ النهارْ.»

- «جاء الشتاءُ وبيتُنا
كالقبْو تأكُله الرطوبةُ والظلام.»
- «ياشيخُ إن أبي مريضٌ مُقْعدٌ
وأخافُ أنّ غداً أكفّنه بجلبابي وأهجره
بعيداً في الظلام.»
- «وأنا كسيحٌ ياصحابُ فهل غداً
أمشي وأعرفُ مايتاخمُ حارتي.
وأرى الأتوبيسَ الكبيرَ،
أرى الترامْ..»
- «وأنا أنا أترى أرى أمّي غداً
قد كدتُ أنسى وجهها.
ويقولُ لي الأولادُ: ماتت
غير أنّي لا أصدّق ما يُقالْ.»

وتلعْثَم العرّافُ ثم انهارَ في عينِ الصغار،
وسار في صمْت الدُّجنّة كالمناديَ في الحَواري:
«أيّها الأصحابُ لاتخْشَوا النهارْ
يا أيّها الأصحابُ لا تخْشوا النهارْ
فغداً سيدركنا النهارُ، غداً سيدركنا النهارْ.»
ويظلُّ يزعقُ في الأزقة، في الدروبِ،
بصوته المبحوحِ لا تخشوا النهارْ

والأمّهاتُ على الأرائكِ صامتاتٌ، والرجالْ
فوق المقاعدِ في المقاهي صامتون.
وصغارنا يلهون في غُمرِ الوحولِ،
ويعبثون من الصباحِ إلى المساءِ،
وكلَّ يومٍ يكبرونَ
بلا رجاء.

أغسطس ١٩٥٤

أغانٍ للجميع

ماذا تبقّى للصعاليكِ الذين يُغرّدون من الصباحِ
إلى المساءْ
ويخبّطون من الطريق إلى الطريقِ،
مع الكلاب الضارياتْ
لاشيء يُؤْنسنَا سوى لهثاتِ طفلٍ ساذجٍ
يمتصُّ أثداءَ عجافْ
ومواء قطٌّ ينزوي
بظلالِ حيطانِ البيوتِ الموحشات،
مع الجِياعِ، منَ الكلابِ،من الرجَالِ،
من النساءْ.
وطنين شحّاذٍ عجوزْ
«ياربِّ، عفوك ياكريم».

ويثرثرُ المتسكّعونْ
والمفلسونْ
والسارحون وراء أقدامِ البغايا يضحكونْ
في ليلنا الملفوفِ بالعُتمِ الكثيفة، بالدخانْ
بمدينةٍ سوداء، سوداء الأزقة والبيوتْ
جدرانُها كتلٌ من الأقزام أيديهم تحزّمها الحبالْ
قد شاهدوا آباءهم فوق المشانق فاغرين.
وجدودُهم بالأمسِ ماتوا تحت أقدامِ الخيولْ
بالأمسِ ماتوا
والغداةَ يموتُ أقزامُ المدينة بين جدران البيوتْ
في وقْدة الشمسِ الرهيبة،
حيث يحترقُ الذبابْ.

ويهوِّم الأطفالُ في حِجْر العجوزْ
أمّي عجوزْ.
وأنا أُغنّي مذ سنينْ
للأمّهات بدورهنِ، وللرجال الكادحينَ
بمصانعِ المُدن الكَئيبة والحقولْ
حيث الرجالَ الشاحبون
لايعرفون لهم مصيرْ
ومصيرهم ، كمصير أغنيتي التى خُنقتْ
بضوضاء المدينة والطريقْ
وأنا أغنّي فى الطَريقْ
للأمهَاتْ
للمومسات، وللرجالِ الضائعين
للأشقياءالهَاربين من السجونِ،
وللصوصَ المفَزعينْ
بين الشقوقْ
كالجُرذِ يُفزِعُها النهارُ فلا ترى نور النهارْ.
ياإخْوتي
فى عتمة النسيان، والجدُر القبيحةوالشقوقْ
في زحمةَ الأسواقَ، كالأعقاب تركَلها النعالْ
يامن تشاطرهم أغانيَ الحزينةُ وحشة الليلِ الطويلْ
يا أيّها الرفقاءُ إني هاهنا
وحدي أغنّي
والضجيجُ يصمُّ آذانَ الرعيلْ
إنّي أغنّي أغنياتِ الحبِّ في وضح النهارْ
حبّي لكم
حبّي الذي أوْقدتُه
بهشيم أحلامِ الطفولةِ والربيعِ،
مع الصعاليك الذين يَغرّدون من الصباحِ إلى المساءْ
لاشيء لي

حتى غنائي لم يعدْ لي
بل لأهلي.. للصحابْ
للمقعدين، كحزْمة الأعشابِ، لاجدوى لها
إلاّ لنيرانِ الجحيمْ
للضائعينَ ومن يقضّون الليالي
في المواخير المريبة، والقباءِ مع النساء الضامراتْ
للهائمين بلا سواعد في الشوارع والدروبِ،
يغرّدون ويلْعقون النارَ في عرْض الطريق.
ويرقعّون وجوههم،
ولبائع الخبزِالكسيحِ يجرُّ سلّته المليئةَ والصغارْ
في بيته الخاوي جياعْ.

قومي جياعْ
وأنا أغنّي للصغار، وللنساءِ،
وللرجالِ الشاحبينْ
وأدبَّ من دربٍ إلى دربٍ وقلبي مزهري
وعلىٍ شفاهي غنوتي
ورنينَ إيقاع حزين...

مارس ١٩٥٥

النهاية

I

ومرّت يدي
على جبهتِكْ
على موجةٍ من عبيرِ الفراغْ
وأمسكْتُ شبّابتي
ورنّم فيَّ السكونْ
سكونُ شهورٍ عجافْ.
وناديتُ باسمك أنت،
وباسمكِ عاد الصدى
يشقشقُ بين الجُدُرْ.
ويحفرُ على جبهتك
وفي جبهتي
طريقَ الرحيلِ الطويلْ
إلى حيث لا نلتقي
ولا نعتنقْ.

وقلتِ وفي بحّتكْ
شجنٌ
وإيقاعُ ناىٍ شجي
«غداً لا أراك»
ورفّ على جبهتكْ
طريق طويلْ.

II

وكان الصباحُ كما تشتهين
صباحَ أحدْ
وكنّا وحيدينْ لو تذكرين
وفي شفتيكِ وداعٌ مريرْ
وداعٌ أخير.
وفي نظرتِك
غيومٌ ثقالْ
وفجرٌ تهاوى عليه الستارُ
وقلعٌ تعطّل فوق الرمالْ.
وساد السكونْ
وملْت إلى ساعدي
ورأسُكَ كالأقحوانْ
دقيقٌ جَميلْ
وغابت بعينيك أحلامنا
وجفّتْ على شفتيكِ الغلالْ

III

وضاق بنا مرسمي
كأنّا نودُّ نحطّم كلَّ الجدُرْ.
ونشربُ ضوءَ الشموسْ
ونسكنِ عشَّ القمرْ
وننقشُ وجهَ السماءْ
ونملأُ كلَّ الفضاء
بأنغامنا.
وندلقُ زُرْقَ الظلالْ
على عتبات الأفُقْ.
ونلقي بأثوابنا.

وإذْ جثم الليلُ فوق المدينهْ
نلوذُ إلى أُشْنةِ عاليهْ
وفي ظلّها نعتنقْ
ولا نفترقْ
إلى أن تزقزقَ عصفورةٌ
وأنظرُ ضوْءَ النهارْ
بعينيك أنْظر ضوءَ النهارْ
وأرشُقُ في مفرقكْ
أضاميمَ وردٍ كنهديْك، رخْص الثمار.

IV

وكان الطريقُ، طريق الرحيلْ
مملْ
وكنّا نسيرُ على عوْسجٍ
وفي خطونا
حثيثُ الوجلْ
وفي أُفقنا
رمادُ النهارْ.
وبحرُ الوشلْ
وزرقةُ نجم نحيلٍ،
كخصرك نجمي النحيلْ.
وكنت تدبّين مبهورةً
يعشّيكِ، وقتَ الظهيرةِ، ليل ملولْ.

V

وكان يحوطُ المدينهْ
مسوخٌ عراةٌ
يمدّون أيديهمُ في الطريقْ
وأقدامَهم في الشقوق.
وهاماتُهم في الخرائبِ تلْعقُ ثديَ العفنْ
فشعّ بعينيك نورٌ وضوءَ القمرْ
ورقّت على جَبهتك
جناحاتُ طيرٍ حزينٍ كشمسِ الغروبْ
وشمسُك مجلوّة،
وشمسي تَغيبْ.
فصحت على غفْلة
«لماذا يجَفّون مثل الوَرقْ
ولاينبسونْ؟»

وأنساك حبُّ البشرْ
رحيلكَ عنّي وطولَ المسيرْ
وكدتَ أصيحُ عماك الشجنْ
فلمْ تُبصري غير هذَي المسوخْ
وما بعد سور المدينة لم تعرفيه
ولم تسألي
لما نفترق؟

VI

عماكَ الشجنْ
فقلتَ وشمسُك مجلوّةٌ
وشمسي تغيبْ
«غداً لا أراكْ
ولا أعرفُكْ.»

VII

أراك نسيت حكاياتنا
عشيّةَ كنّا وحيديْنِ،
كُنّا بمقهى صغيرْ
وكنت تُصيخين في كآبةٍ
لأحداثِ عمري الكئيبْ
وعمري كئيبٌ كأعمار تلك المسوخْ.
وشاقكِ أنّي شقيٌّ
لأنّك لَم تعرفي ما الشقاءْ.
وأنساكِ شجوي نعيمكْ
وخلّتك منّي إنعكاساً سخيّ الظلالْ
ورجعَ صَدى
عميق.

VIII

وبعد ليالٍ طوالْ
وقد أهرق الوقت صدرٌ مريعْ
وعشّش في منزلي كوكبٌ
ونجمٌ خضيرْ
أراكِ تسيرين نحْو الأُفُقْ
وأفقي خضيبٌ، مقيتُ الشفقْ
تسيرين وحدكِ في وحشةٍ
كعصفورةٍ تحترقْ.

الاسكندرية ١٩٥٥



أرابسك

الوشْمُ على جُدرانِ مقابرنا
الوشْمُ على أفخاذِ بغايانا
وتماثيلُ الوثنيين الشَوهاءْ
تتثاءبُ في ساحاتِ مدائننا.

عينٌ سوداءْ
كنزٌ يبدو في كلِّ طريقْ
وإلهٌ منحوتٌ في صخرهْ
وشموسٌ سودْ
وسماءٌ حارقةٌ حمراءْ.

القيظُ وإمرأةٌ كسْلى
تتدلى من شبّاك شرقيٍّ منقوشْ
بهلالٍ أندلسي
وطروزِ وشاحْ
هفهافٍ بلّلوري.

كنزي جسدٌ عُريانْ
في كلِّ مكانْ
عينٌ سوداءْ
وهلالٌ
أندلسي.

بغداد ١٩٥٦

تلغراف

I

عبثاً أبحثُ عن شكلٍ طريفْ
عبثاً كانت تقولْ
أن تراني غاضبةْ
كعصافير الحقولْ
كالندى فوق بساتينِ الكرومْ
مثل أمّي كاذبةْ.

II

كان تلغرافها بعد انتظارْ
وقد اجتاز صحارى وبحارْ
كان شيئاً تافهاً.
«كُلنا – قالوا – بخير»
ثُمّ توقيعُ أخي، توقيعُه
كان مدْيه.
طعنتْ قلبي كهاملت عندما أدمى بكلمه
قلبَ أمّه
«آه هاملت أنت قد مزّقتَ قلبي مزْقتين.»

III

لم تكوني قاسيهْ
فلما أمّاه في بُعدْي قسوْتِ
– معذره – وكذبت؟
وأنا، تدرين، لا أعشَقُ في النسْوةِ غير عيونكْ
غير ينبوعيْ عسلْ
وجبينكْ.
وذُراه في مدى رأسِ جبلْ.
كلّما أصعدُ يعلو
هكذا دون مللْ.

IV

وأتي ساعي البريدْ
بعد إهمالٍ وصمْت
وأتى، أمّاه، في – أذكرِ مذ يومين كان –
في موات الظهر، والظهُركئيبْ.
وببغداد، تَصوغُ الشمسُ تابوتَ الرجالْ
وببغداد يموتون، كما أفعلُ، في بطنِ الرمالْ.
غير أنا نشربُ الخمرَ مساءً كلَّ يومِ
– معذرة –
نشربُ الخمر لدى صاحبٍ يسكُن في فندقٍ جهْمٍ رخيصْ.
ونقضّي ليلنا
في حديثٍ متراخٍ عن كتابٍ أو قصيده
لأراجون وكاركو أو لأودونْ.

«ليس يجدي أن تصيحي
لا ففي وسعك محبوبتي ألاّ تصيحي
أنا لا أبغي مزيَداً من عناقكْ
فلتُعدي كوب شايٍ طيّبٍ، عُدّي الغطاءْ
ها أنا، ها أنت قربي، ما الذي يعنيه هذا
بل، وماذا سوف نفعلْ؟»

V

كنتُ قد أخبرتُ أمّي منذُ أعوامٍ بعيدهْ
برحيلي عن بلادي، لبلادٍ غيرها
لم أُجبْ عن أيّ مكتوبٍ لها
غير أني لم أجدْ أفضل منها
«ها أنا، ها أنتِ قُربي.»

VI

سوف نبقى وحدنا في فندُقٍ جهْمٍ رخيصْ.
نرشُفُ الخمر ونمتصّ السنينْ
دون جدوى، والمدينهْ
مومسٌ شمطاءُ كانت -قبلُ- قد ماتت بأحضانِ الرشيدْ
«كلّنا -قالت- بخيْر»
وانتهى نصفُ جنيهِ

كان «أدونْ» قاسياً
مثل مذياعِ صديقي
كلُّهم -قالَت- بخيْرٍ، كلُّهم، واسكندريّهْ..
غير أنّي -معذرهْ-
كنت قد أبلغتُ أمّي منذُ أعوامٍ بعيدهْ
برحيلي عن بلادي، ثمّ تلغرافُها
وبمذياعِ صديقي
أرضُنا الخضراءُ -قالوا- هُوجمتْ
هوجمتْ حتى البيوتُ المشمسهْ
هوجمت حتى حوانيت اللعبْ
وأراجيحُ الصغارْ
هوجمت.

VII

لم تُسلِمْ بورسعيدْ.

VIII

ثمّ ألقيتُ الجريدهْ.
وتذكّرتكِ -أمّاه- فعفواً
لم تكونيَ كاذبهْ.
كلكم -حقاً- بخيرٍ
كلكم.

بغداد ١٩٥٦

ديسمبر ١٩٥٦

في غابةٍ صفراء في نفسي تموتْ
أوراقُ حبّي الذابلاتُ بلا رياحٍ في سكوت
ديسمبر القاسي
عيون حبيبتي
عصفورتانِ تغرّدانِ على الصقيعْ.
وهناك في وطني سمائي
وجهها الصافي الحزين
وقصائدي تكسو وجوه الآخرينْ.

ديسمبرُ القاسي
نسيت حتى وجهها
ونجومها وفواكه الحبِّ الخصيبْ
وغدوْتُ أفاقاً أُبدّدُ كنزها الغالي
بأسواق العبيد.

بغداد ١٩٥٦

أغنية عاشق

I

أنجامُ هذا الليلِ من حجرْ
الأرضُ، السماءُ، من حجرْ
الأمّهاتُ، الدُّمى، تطلُّ من نوافذ البيوت في ضجرْ.

II

المرْكباتُ، ألنساءُ في أثوابهنّ القاسيهْ
أطيافُ.. «دلفو» في جحيمه البنفسجي
تموتُ في فترينةٍ زُجاجْ
بشارع مهجورْ
إلاّ من الأضواء والظلالْ
إلاّ من القمرْ.

III

حتّى القمرْ
كوجه من أحبّ منحوتٌ على حجر.

بغداد ١٩٥٦

السماءُ مسوّرة

I

قمرٌ ناء
قمرٌ أزرقْ
في صحرائي
عريانُ كطفلٍ في مهْدٍ بللوري
في عشٍّ أسطوري
كحمامة بيكاسو
تُلقي بسماء مدينتنا
غُصنَ الزيتونِ على الدورِ
وعلى العشّاقِ، على الأطفالِ، على النسوةْ
وجباه الغيد الحلوه
عُريانٌ يدبّ وقبّرتي خضراءُ تنامُ على صدرهْ
عيناها مشرقتان
كعيونِ نساء بلادي كالزئبقْ.

II

أُختاهُ وقُبّرتي عيناها زنبقتان كعينيْكِ
وعلى فمها أثمارٌ من شفتيكَ
وأغنيةٌ حمراءُ تتوقُ إلى وطنيَ واليكِ
إلى طرقات مدينتنا
وحدائقها واَلليلُ يغطّيها
بظلالٍ حوشيّةْ
ومنازلها ومقاهيها..

III

هذا القمرُ النائي
يتسكّعُ في بغداد بلا مأوى
وبلا جدوى
ومغنٍّ ينشدُ أغنيةً
كمغنّي «بن شاهن»
أعمى في الدجْنة ينشُد أغنيةً
حمراءَ فيسمعها سجّانٌ وحشيٌّ أحمقْ
فيهمهمُ: «هذا الكلْبُ لماذا ينْعقْ؟»
ويعودُ لغرفته والكلْب يغنّي
في صوت الفونوغرافِ المكسورْ
وحبيبتُه ترنو في إعياءٍ،
إلى قمرٍ أزرقْ
قمرٍ ناءٍ.

بغداد ١٩٥٦

مغامرات في لاشيء

I

الوقتُ مساءْ
لاشيء يضيء بأركانِ الشارعْ
إلاّ شباك ألقى بعض بصيصْ
شبّاك عشيقْ
شبّاك عروس
شبّاكُ مريض

الوقتُ مساءْ
لاشيء يضيء القلبْ
كمغامرةٍ في البحرِ بلا مجدافْ
إلاّ الرغبةْ
في البحث عن الأصدافْ
عن قلب عشيقْ
يتفتّحُ في القاعِ الأزرقْ
عن حُلْمِ غريقْ
بكنوز سليمان، بأسطورهْ.
ببقايا ملحمةٍ دارت في البحرْ
بهياكل باخرةٍ غاصت في القاعْ
سكنتها أسماكٌ وقواقعُ مسحورهْ.

الوقتُ مساءْ
لكنّ مغامرتي لم تبدأ بعدْ
مازال أمامي الوقتْ
كي أسترخي بضْع دقائقْ
أشعلُ فيها غُلْيوني
كي أحْسوَ فنجانَ القهوهْ
كي أسرقَ وجه حبيبي في غفوهْ
كي أحفر بعض خطوطٍ في ورقهْ
لا أفهمها
أنا لا أدركْ
ما معنى أن تتذكّر وجه حبيبْ
لو مرّ بك الساعهْ
لا تعرفه
لكنّك سوف تحييهِ
وتناديه
ياحبّيَ، ياوجهي الآخرْ.

الوقت مساءْ
ووراء زجاجِ الشبّاكْ
شيء كوجوه موديلياني
لا... ليس حبيبي
إنّ حبيبي لا يضمرُ
لايشحُبُ لايستغرقُ في لاشيءْ.

II

أغلقتُ نوافذَ بيتي في وحشهْ
وبحثْتُ عن المفتاحِ بلا جدْوى
وصرختُ: محالٌ أن أبقى
لا لن أبقى
قلبي قفصٌ مغلقْ
سأغامرُ في ليلٍ من غير نجومْ
من غير سماءْ
من غير سديمْ
حتى أجدَ المفتاحْ
فاعودْ.

III

ومدينة «دلفو» أعمدةٌ تنهارْ
وعرايا تجمدُ والصبّار
أبوابُ مدائن مهجورهْ
وعيونٌ فارغةٌ ومرايا من بللورْ
لاتعكسُ إلاّ أعمدةً وعرايا من أحجارْ.
لاشمس نهارْ
لاظلمة ليلْ
لاشيء على الإطلاقْ
لاشيءْ.

IV

صعْبٌ أن تبحثَ في لاشيءْ
عن لاشيءٍ ، لاشيء.
وتهيل جليداً فوق جليدْ
وتظلّ تعيدْ
بستانُ حبيبي ليس بعيد.

V

الوقتُ مساءْ
مازال أمامي بعضُ الوقتْ
كي أبحث عن زنبقةٍ صفراءْ
عن عصفورٍ أحمرْ
عن لؤلؤةِ القاع الأزرقْ
لأعودْ
حتْماً ساعودْ
بستانُ
حبيبي
ليس
بعيدْ.

موسمُ الموت

I

جاءوا مذْ ساعاتٍ،
وبقوا فِي الحلبةِ ينتظرونَ،
مصارعَ ثيرانٍ،
سيغنّي أُغنيةً بلهاءْ.
يتناقلها المذياعُ وأشرطةُ التسجيلْ.

II

أليومَ يموتُ الثورُ، وفي أسبانيا
ولعٌ بالموت،
وروما تنتظرُ السياحْ
في مطلعِ كلِّ شتاءْ
ليروا بصمات الموتِ على
جدران كنائسَها والنافوراتْ.

III

البابا سوف يموتُ وتبقى النافوراتْ.
وجداريّات الفاتيكان،
وفي مدريد تموتْ
عشراتُ الثيرانِ السوداءْ.

IV

وتغيبُ الشمسْ
ويلوكُ الراديو أغنيةً بلهاءْ
عن موتِ عشيق في ليْل الأحزانْ.

ألبابا سوف يموتْ
وتموتُ الثيرانُ العجفاءْ.

١٩٥٩

حلم

الكلْبُ الأزرقُ يبحثُ عن قمري
الضائعِ في الطرقاتِ،
ينقّبُ في عرباتِ الموتى
في عُلَبِ القصديرْ
في أرصفة الميناءْ
وقطاراتِ الغرباءْ
وبيوتِ العشّاقِ الفقراءْ
عن شيءٍ ناءٍ،
عن قمري الحجري.

١٩٥٩

حدث في إحدى أُمسيات الشتاء

I

لم أكنْ أُصغي عندما كلّمتني
كنتُ وحدي
وكان ينهشُ قلبي
الطريق الممتدُّ، من سأمٍ، في أمسيات الشتاءِ،
حتى النهايهْ.

وعيونُ النساءَ
آبارُ صحراءَ
تُحيطُ المدينَة المسجورهْ.
«وبمترّو.. فيلمٌ جميلٌ
غداً هلاّ..
غداً هلاّ نلتقي..
ونراهُ.»

وتلوبُ المعاطفُ القرمزيّه
والمناديلُ
والخيولُ
«نعم ماتَ..
بمترو.. فيلّم جميلٌ
ذا آخر فيلمٍ له..
نراهُ..
جميلٌ».

II

بعد ساعهْ
أكونُ في غرفتي
ألبردُ قاسي
«جاء الأتوبيسُ أسرعْ
أُفّ.. تأخرتُ، كيف أُقنعُ أُمّي
كيف أكذبْ.»

III

البردُ قاسي
ببيتي امرأة تهواني
نعم تهواني

لا أراها إلاّ لماماً
وتستشري بها أحزاني
أما تهواني.

لم تحدّثني عن هواها
وتعطيني فوق مايعطي هواها
وعطاياها
ذكرياتُ البغايا
وحكاياتُ الليل، عوْسجتي
الأمس بستانُ الساقطاتِ
حبيبي
وغداً هلاّ نلتقي
نلتقي
ألبرد
هل نلتقي
بمترو
حبيبي؟

١٩٥٩

دورق اللون الأزرق

ماذا لو الزرقةُ غشّت كلَّ شيء في المكانْ
لو استحال دورقي
إلى كنارٍ أزرقٍ
أو أقحوانْ.
وانسكب الأريجُ يجري في فمي
ليرتوي بستان كرزي بالأريجِ من دمي.

ماذا لو الأزرقُ سالْ
من دورقي الغميسِ في الظلال.
لو استحالت وهي في حضْني
إلى أغنيةٍ عاريةٍ زرقاءْ
تلوّنُ الإنسانَ والأشياءْ
بزرقةِ السماءْ.

١٩٦٣

عشّاق المدينة الميّتة

I

ورؤوسُ القدّيسينْ
تتدحرجُ في الطرقاتْ
في منحدرِ الصلواتْ
ثمراتٍ يابسةٍ عجفاءْ
تذروها الريحُ وما من شيءٍ
كالريحِ يصدُّ الريحْ.

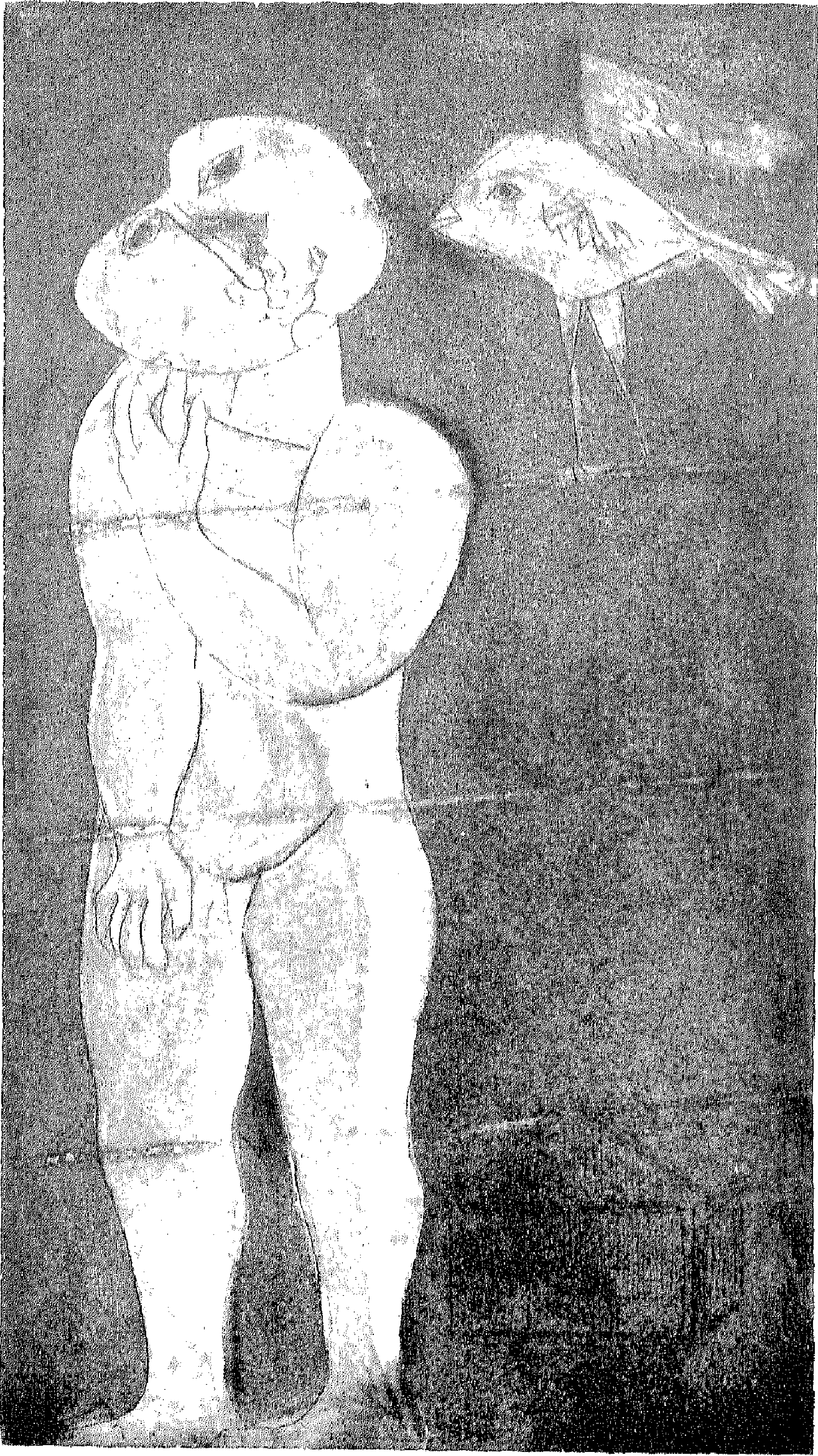
II

ومدينتنا جدرانٌ عاريةٌ سوداءْ
وإلهٌ من قصديرْ
يتثاءبُ في سأمٍ
ويهشُّ ذباب الموتْ
ويدورُ بلا قدمٍ
يصطاد ذبابْ.

III

وعلى جبهاتِ الناسْ
الإعلاناتْ
ورؤى الأمواتْ
وعلى الطرقاتْ
جثثُ العشّاقْ
ورؤوسُ القدّيسين
تتساقط كالأوراق.

١٩٦٣



قصائد من آسيا

١٩٦٣ - ١٩٦٤

الشمس والموت

كابولُ
حبيبي يبكي
زنبقةً تذوي في جُلْخانه
كابولُ
حبيبي يبكي
أغنيةً تتردّدُ عُرْيانهْ.

الشمسُ تردُّ الموتْ
وحوائطُ سجني أغنيةٌ
في حلقِ كنارٍ ميْت.

ديسمبر والموت

ديسمبر قاسٍ
فصل العُرْيْ
طيرُ الدرّاجِ يموتْ
في أقفاصِ العشاقْ
وحديقةُ «بابور» الجرداءُ،
تُعرّي أجسادَ الأطفالْ
لرياحِ الموت.

ديسمبُر قاسٍ... لاتبكي
إنّا فقراءْ
لانملكُ أن نبتاع وقودْ.

بالأمس تساقط طولَ اليومِ مطرْ
كانت سحبٌ سوداءُ تسيلُ مطرْ
كانت عيناك
مغرورقتينْ.

الحزنُ مطرْ
العشقُ مطرْ
خلقُ الأشياءِ مطرْ
ودبيبُ الموتِ جفافْ.

نيو دلهي

في فندق «مترو» في دلهي
وأغسطسُ محترق
بالرغم من الأمطارْ
وعصافيرُ الغابات، وعطرُ نساءِ الهندْ
كانت أحلامُ السُّهّدِ جُثامْ
يتشكلُ كالثعبانِ علَى الجدرانْ.

شعراءُ الشرقِ عرايا يحترقونْ
في أوكارِ الأفيونْ
ودخانِ الهندْ.

لصوص الحكمة

في الشرق يموتُ الربُّ على أيدي الكهّانْ
أبداً يشقى الإنسانْ
في كلّ زمانْ
مادام هنا بوذا عريانْ
يتدثّر بالأحزان
ولصوصُ الحكمةِ يقتسمون
في الحلكةِ فاكهةَ البستان.

رامبو والفردوس

وتذكّرنا قمراً سرقوه
في أُمسيةٍ كأباء، وكنتُ أُفتّش عن «رامبو»
فبكيْت وقَلت الليلُ بهيمٌ فلا تبحثْ
عن جثّةِ شاعرِكَ المفقودْ.

وفقدنا الفردوْسَ الموعودْ.

القدّيسون

قمري
كرةٌ يتقاذفُها العميانْ.
في معتقل الكلماتِ المنفيّةْ
ورؤى الشعراءِ الملعونين
ألقدّيسين
مَمنْ حُرقوا فوقِ الصلبانْ
وأضاءوا سردابَ التاريخْ
وسني الأحزانْ.

قمري الإنـ
سا
نْ.

أغنية إلى آسيا

آسيا آسيا
ياغابات الصلبانْ
وكنوزَ إلَهٍ تنهشُه العُقْبان
ينمو المانجو والشايْ
بدموع المنبوذينْ
ومساكينِ القرنِ العشرينْ.

يا أدغالَ الأحزانْ
وسرابَ فلاسفة الحرمانْ
وتماثيل الزمنِ المفقودْ
زمن الطوفانْ
ورموز الجنْس ووشْم الوحشِ
على أفخاذ نساءِ عجفاواتْ
وقبورَ المهراجات
آسيا
آسيا
آسيا.

نوستالجيا

للبحرِ نداءٌ تنقلهُ لي الريحْ
مابالُ ابن الميناءْ
قد أضناه التبريحْ
فغدا في منفاهُ الجبليِّ يصيحْ.

«النْورسُ في قفص الصيّادِ يموتْ
وهديرُ الموجْ
يترددُ في الطرقاتْ
وبواخرُ ترسو فوق الأسفلت، وملاّحون
يرتادون الأسواق بدون متاعَ
بحثاً عن بحرْ.»

نقد الشعر

I

لو لم تكن الأصدافْ
تتفتّح في رؤيا الشعراءْ
عن كنز مدينتهمْ
ألغرقى
في أعماق بحورٍ عاصيةٍ
تنبو ببقايا الفردوسْ
وهياكل آلهةٍ
كانت بالأمسْ
في أسْر رخامِ الصمتْ
فتهاوت في سأمِ الإنسانْ
وقنوطِ طيورٍ خُرْسْ
في قاعِ الموتْ.

II

لو لم تكنِ الأصدافْ
لكسَرتُ زجاجَ مرايا الشعرْ
وهجرتُ البحرْ
ورفعتُ صليبي صوب الشمسْ.

طبيعة صامتة

(مرثية چورچ براك)

I

إبريقُ «براكْ»
يبكي في الظلّ غيابَ بريقِ اللونْ
يبكي التكوينات الشمّاءْ
يبكي الأسماكَ تموتْ
في أطباقٍ سوداءْ.

II

إبريقُ «براكْ»
أبداً يلهو بقصيد الحزنْ
يبكي أستاذَ اللونْ
وعذابَ الجيتارات الخرساءْ.
وزجاجاتُ الصهباءِ بلا صهباءْ
تبكي لأسى الأقداحْ.
وفواكهُ ذابلةٌ وأقاحْ.
في آنيةٍ كأباءْ
مذْ مات البستاني
وخلا البستانُ من التفّاحْ.

عشرون تحت الصفر

I

الثلجُ لعينْ
الثلجُ يغطي شعْر حبيبي
وجه حبيبي
ثوبَ حبيبي... الثلجُ لعينْ
وذقونُ رجالِ الدينْ
أعشابٌ ميّتةٌ، أعشابٌ يعلكها الحسّونْ
في شهر يناير شهرِ الجوعْ
شهرِ القمرِ المصنوعْ
شهرِ الثمرِ الممنوعْ
شهرِ العشْقِ الآلي
وتخثرِ سلسالِ الينبوعْ
هذا هو شهرُ الجوعْ.

II

بستاني محترقٌ عُريانْ
وعصافيري هلكى تترنّح بالأغصانْ
الشمسُ تذوبُ على الجدرانِ بدون شعاعْ
والموتُ يدبُّ بألفِ ذراعْ
وبألف قناعْ
في فصل سقوطِ الثلجْ
ماأقسى الغربة في كابولْ
منفى العشّاقْ
وجحيم القديسِ المخذول.

III

عشرونْ تحت الصفرْ
مازال ملوكُ الفُرسْ
يرثون مع التيجان،
مع الغلمان، رباعيّاتْ
عمرِ الخيّامْ
وقباءَ نبيذِ أباطرةِ الزمنِ الملعونْ
زمن الفرسانِ وحلْمِ الحشّاشينْ
بنعيم جنانٍ سرّيهْ.

IV

عشرونَ تحت الصفرْ
ما أقسى الشعرْ
والموتُ يرفُّ بأجنحةٍ شهباءَ جليديهْ.

فرسٌ في الثلجِ يداعبُ قمْرّيهْ
مازالَ يصيدُ طيوراً وحشيّهْ
ويقيمُ لها أقفاصاً ثلجيّهْ
فرسي المجنونْ
لايدري أن الشّعْر يعيشْ
ويموتُ كهذي الطيرْ
في غفوة عشقٍ صوفيهْ.

V

عشرونَ تحت الصفرْ
ما أقساهُ التاريخْ
خُرسانُ تعيشُ على الأغنامِ بلا رُعيانْ
فقهاء الأمسِ يلوكون القرآنْ
والفونوغرافُ عتيقٌ أبلاه التكرارْ
والاستمرارْ
في سوق التذكاراتِ الباليةِ الخرساءْ
سوق المومياءْ.

عشرونَ تحت الصفْر
الثلجِ يغطيّ شعْرحبيبي
وجه حبيبي
ثوْبَ حبيبي
الثلجُ لعينْ.

Global Telegram

Full Rate [illegible] egram ☐ Press ☐ (Full Rate unless otherwise marked) This telegram will be transmitted electronically by cable, radio, or satellite

[illegible] Account Number

All [illegible] the rates, rules and regulations as set forth in the applicable tariff of RCA Global Communications, Inc. on file with the F C C



قصائد من مونمارتر
٦٤ – ١٩٦٨

نحتْ

طيْرٌ «برانكوزي» حبيسٌ في إسار المكانْ
طيْرٌ «خوان ميرو» نبيٌّ طريدْ
في اللا زمانْ.
يصيدُه الأطفالُ بالنّبالِ، بالحجارْ
لكنّه لايعودْ.
وطائري قيثار «بيكاسو»
مراثي الأندلسْ
عيناه نجْمتانْ
شرقيّتانْ
في دُجنة النهار تُشرقانْ
حديقتانَ في صحارى العُقْمِ والضجَرْ
تلوّحانِ بازدهار الحبّ بالثمرْ
بموسمِ العناق، بالقمرْ.

نحتٌ وجْهَ من أحبُّ في رُخامِ القمَرْ
كي لايغيبَ القْمر.

انطباع رقم I

وبُحَّ صوتُ عازفِ الجيتارْ
فمزّقت في يده الأوتار
وسقطتْ من فمه الأحجارْ
ولم يعدْ يواصلُ الغناءْ.

«لم يذْكرِ التاريخُ شيئاً عن سقوطهِ
ولم تُشرْ إليه صحُفُ المساءْ»

وفي الصباحْ
يكنسُ عمّالُ النظافة الطريقْ
ويلمحونَ دمه القاني الدفيق
فيطرقونْ
ويخلعون القبعّاتْ
ويهمسونْ:
«الرجلُ المسكين ماتْ
الرجلُ المسكينُ مات
الرجلُ المسكينُ مات.»

انطباع رقم II

حبيبتي لاتجزعي
إنْ سقط العازفُ، فالشاعرُ لايزالْ
حياً بداخلي
يقاومُ السقوطَ والأفولْ
ويقتفي في جنّة المحالْ
فواكهَ الشعرِ التي لاتعرفُ الذبول.

حبيبتي
إن جاء من يقولْ
أنّ حقائبي التي ملأتها على مدى الفصولْ
أصابها قحْطٌ فلم تعدْ تفي بحاجةِ الغليلْ
فلا تصدّقي
مادُمت في قلبي قصيدةً
أشدو بها على مدى الفصولْ.

الشاعر يُبعثُ من جديد

انتفضَ الشاعرُ، والشاعرُ كانْ
الفارسَ الملعونَ يمتطي حصانْ
عيناه حُفرتانْ
تصفر فيهما الرياحْ
فَيطلقُ الدخانْ
ذوائباً تحولُ دون سدْرة البراحْ
ويسقطُ الحصانْ
في كلِّ شبْرٍ غائرَ الجراحْ.

انتفضَ الشاعرُ والفارسُ عادْ
ليعتلي صَهْوة عنقاء جناحاها صليبانْ
عاد من المنفى،
بقيثارٍ خرافيٍّ له أنفٌ وعينانْ.

أوتارُه
أحشاءُ
إنسان.

الزمن الضائع

I

فتيات أڤينيونَ حطَمْن إسار الأسرِ،
بمتحف ألـ MoMa
وهجْرن نيويورك الدمويّةَ تحت ستارِ الكتمانْ
ورجْعنَ إلى مونمارتر تحدوهن الأحزان.

II

الباتو لاڤوارْ
شارع راڤنيان.

III

الباتو لاڤوارْ
شارعِ راڤنيانْ
شَرَخَ الزمنُ البنيانْ
وتقوضت الأركانْ
بعد الإنسان.

لوحة «فتيات أڤينيون» لبيكاسو، من مقتنيات متحف نيويورك للفن الحديث «MOMA»

IV

فتياتُ أڤينيونَ مزقْن الأقنعةَ الإفريقيّةْ
ونزلْنَ إلى الطرقات عرايا، والأمطارْ
تجرُفُ أوراقَ الأشجارْ
وركامَ زجاجات «الريكار»
ونفايات الأطعمَة المحفوظة في علبِ القصديرْ
وقصاصَات رسائلِ منتحرٍ مقهورْ
وبُصاقَ رجَالِ الدينْ.
كلماتُ قصائد منسيّةْ.

V

وأخذْن يطُفْن على الحاناتْ
ومراسم كلِّ الفنّانينَ،
يُضاجعن الخصيانْ
وسُحاقيّات فراديسِ الأفيون،
عسى يعثُرنَ على شعراءِ الزَمن الملعونْ.

VI

جُثثُ الشعراءْ
تُسفيها ريحُ الزوبعةِ الخرساءْ
وتُدحرجُها الأمطارْ
وسطَ الأحجارْ،
وتدقُّ بها بوّابات الفردوسْ.

هل يُوجَدْ من يرثي شعراءَ الأمسْ؟

VII

فتياتُ أڤينيوَن يطفْنَ على الحاناتْ
يتنقلْنَ من الطرقات إلى الطرقات
ويُضاجعْن الأمواتْ.

٥ مشاهد

I

يصهلُ الفارسُ في وضْح النهارْ
بينما يُقعي جوادُ الشمْسِ في ظلّ جدارْ
يلعقُ الضوءَ فتنزو العينُ ينبوعَ انكسارْ
وتلوبُ المرئياتْ
فوق بازلْتِ الوجوه
ومرايا العاهراتْ
يتجشّأن حكايات الفراشْ
كلَّ صبْحٍ في الطريقْ.

II

تغسلُ الأمطارُ أثداءَ النساءْ
والعصافيرُ الظماءْ
تتعرّى والرجالُ الغاضبونْ
يتعرّونْ
والكلوشارُ العرايا
يسبطرّون بأركانِ المواخيرِ انتظاراً
لعمليّاتِ الخصاءْ.

آه، ما أقسى الشتاءْ!

III

دمُ «أوتريللو» بأقداحِ النبيذْ
في يد القسيسِ،
والمومسِ،
والشاعرِ،
والسفّاحِ، في ثغرِ العشيقْ
يصبُغُ الريحَ وأحجارَ الطريقْ
ويُحيلُ الموتَ عقباناً تدورْ
في أثيرٍ من زجاجٍ أزرقٍ وسط الطريق.

كان «أوتريللو» حريقْ

IV

لاينِي الحُجّاجُ يسعون لحانات المزارْ
يصنعون العشقَ في غير اكتراثْ
لايملّون الأوارْ.
لايغذّون اللهاثْ.
فتباريحُ الهوى المشبوبِ ماتتْ
في شفاه العاشقين.
وانتهى عصرٌ حزينْ
في تروسِ الزمنِ الجهْم اللعينْ.

V

بُعثَ الشاعرُ في أمطارِ مونمارتر قدّيساً شهيدْ
عائداً من هْجرة الأعماقِ في منفى الجليد
يجمعُ الأمطارَ في راحته الخضراء،
كي يغسلَ أفخاذَ البغايا وجباهَ الشعراءْ
يجمعُ الأمطارَ كي يغسُلَ أرحامَ الحبالى
وينابيعَ الدماءْ
يجمعُ الأمطار كي يغسُلَ جُدْرانَ المدينةْ
والتماثيلَ الحزينةْ
في الميادينِ، وأقفاصِ السكينةْ.

الباتو لاڤوار

عند يُنبوعٍ قديمْ
طلعتْ جنّيةٌ ذاتَ صباحْ
في يديها باقةٌ زرقاءُ من قطْف النجومْ
وعلى الرأس أقاحْ
فرأت فرسانَ أسبانيا بلاماءٍ ولا زادْ
وقفوا ينتظرون النجم حتّى يُسرجوا خيْل الشموسْ
ويفضّوا تحت جُنْح الليلِ أسرار العروسْ.

أو مأتْ للفارس الأزرقِ ذي الألفِ قناعْ
وارتمتْ في حضنه
فاخضوضر الليلُ وشاعْ
أنّ يابلو البرْشلوني
يهتكُ العذراء في غيرِ ارتياعْ.

توضيح لصعاليك مونمارتر

لم أجئْ لائذاً
لا ولم أنهزمْ
في معاركِ حربِ البسوسْ.

إنّما جئتُ أحملُ في سترْتي
عالمي، وشظايا شموسْ
وتركتُ ورائي كنوزي القديمةَ،
عيناً من الماسِ في رأسِ عنقاء موثوقةٍ في الغيومْ.
وتركتُ خيولَ الغزاةِ تُمرّغُ أعناقها
في حنايا الكليمْ.

لم أجئْ هارباً من شواظ الجحيمْ
بل أتيْتُ أشُبُّ سعيرَ الجحيمْ.

انتهت باريس ١٩٦٨



نقد الكلمات

ترنيمة

شيرينُ
أجوسُ رؤى الصبّارْ
وجسورَ النارْ
وأشقُّ عبابَ بحارِ الجوعِ وراء بحار
وأُقاتلُ تحت طواحين الشعراءْ
سأمَ العشّاقِ وعُقْمَ الماءْ
وأُفتش خلفَ مرايا الوهْمْ
في ثدي الحُلْمْ
في أصداف الحدقات الواسعةِ السوداءْ
وحقولِ الأسفلت الخَرساء
عن مفتاحِ الكنزِ الموعودْ
عن فردوسي المفقود
من أجلك يا
شيرين.

حريقُ ليلة العرس

I

دعْ غيري ينبشْ في غُرفِ الأصدافْ
يتحسّسُ في ولهِ أقفالَ صناديقِ الأسلافْ
ويفضُّ دخانَ دهاليز الأعرافْ
ويجوسُ خرائبَ ذاكرةِ الحكماءْ
لينقّبَ عن أسماء.

II

دعْ غيري يجترُّ الأشياءْ
ويلوكُ مع الجوعى جثثَ الحكماء
فأنا طهّرتُ ردائي من عفنِ التاريخِ بحامضِ كبريتيكْ.
ووقفتُ وحيداً في عرْسي
وبدون شهودْ
وبدون عروسْ
ألقيتُ خطاباً غير ركيكْ.

III

«حضرات المدعووين
يافرسانَ الزمنِ الملعونْ
من أبناء القرنِ العشرينْ
والواحد والعشرين
يؤسفني أن أقضي الآن بأنّ الحفلَ كمينْ.
فرداءُ العُرْسِ أحبّائي
أكلته النارْ.
وعروسي كانت خادعةً
فاختارتْ غيري من بين الأشرارْ
ورمت وجهي بحجارهْ

IV

وسمعتُ صفيرَ الاستهجانْ
وهتافَ الاستحسان
ورأيتُ على رأسي إكليلَ الغارِ،
يكللني بالعارِ،
رأيتُ ردائي تحرقه النيران.

نَقْدُ الكلمات

الكلماتُ على الجدرانِ خطوطْ
الكلماتُ حنوطْ
الكلماتُ على الأفواه حجارْ
الكلماتُ أُوارْ
الكلماتُ على الطرقِ الملساءْ
ترتدُّ بلا أصداءْ
الكلماتُ على الأوراق رمالْ
تتطايرُ دون قتالْ
الكلماتُ حبالْ
تلتفُّ مشانقَ دون ظلالْ
الكلماتُ مشاعلُ في أيدي العميانْ
تخبو وتضيء بلا ربّانْ
الكلماتُ دروعُ أمان
ينزعها في المعمعة الفرسانْ
لتكون دثاراً للشعراءِ،
وللحكماءِ،
وللكهّان.

لمن يعود الطروبادور؟

I

ياقمرَ الرمادِ،
يارخامُ، ياخَرائبَ التاريخِ،
يادخانَ غليونِ شاعرٍ من القصدير والركامْ
ياقُبّرات الموتَ يَتشحْن بالغمام
ينقُرْن أَسفلتِ الربيع، والطعام
تُفسده خزائنُ الفصول.

لمن أعودْ؟
الأسبرينْ
ينبُتُ في حديقتي والكورمينْ
ينمو على الجدرانِ، في الشقوقْ
يسدُّ في وجهي الطَريقْ
ما من طريق.

II

«التحوّلات»

مدينتي كانت بلا أسوارْ
كانت بلا حدودْ
اليوم إذ أعود
من هجْرة المخاض في البحار
تنتصبُ الجَدرانُ والقُضبانْ
وتورقُ الصلبانْ
وتصرخُ المأساةَ في الإعلانْ
«عشاقُنا أضحوا تماثيل من الرخامْ
أطفالنا شابت نواصيهم
ولم يقووا على الفطام
آباؤنا ارتدّوا إلى كهفِ الزمانْ
وراء فردوسٍ قديم مائلِ الأركان.»

III
«فصل في كتاب قديم»

عُدْتُ إلى خرائب الماضي إلي مدينة الأمواتْ
وكان في الساحاتْ
مهرجو السلطان ينشجونْ
ويضحكون ثمّ يصرخون
«حرّاسُكَ الموتى على مدارج القصر العتيقْ
راحوا يسدّون الطريقْ
فقمْ وهزّ الصوْلجانْ
وارفعْ قناديلَ الأمان
لندفنَ الأمواتْ
وننقذَ الأحياءَ من أحبولةِ الأحزان».

ويضحكُ المهرّجونْ
وينحبون
من غيْرنا الأحياء؟
من غيْرنا الأحياء؟

IV

«تنويعات على حرف لو»

لوْ خرس المهرّجونْ
ورُدّ للغابة رأسُ الببّغاءْ
ومُزّقتْ أوصاله أشلاءْ
وُوزّعتْ على خوانِ الفقراءْ
وجاس في خرائبِ التاريخِ فرسانُ طواحين الهواءْ
واغترف الشاعرُ من خزائن الفصولْ
وأينعتْ براعمُ الأسفلت في الحقول
وكسّر العشّاقُ أسوارَ السّكونْ
وأغرق البحرُ حقول الأسبرين.

لكنّ «لو» لا تُسقطُ الأمطارَ،
في الصحراءْ
لاتنبتُ الأزهارَ،
في الحديقة الجرداء
ولا تُقيمُ العالمَ المنهارَ،
من حصباء.

المحتويات

+ li 15

5X - 117 - E 57 st.

T (11) - Park - lex.

(10) galleria Building

سوار

۱۴ بعدی



X

□ مسرح الـ «بالاس»، لندن ١٩٧٠

□ قاعة اخناتون، القاهرة ١٩٧٣

□ المركز الثقافي السوفيتي، الأسكندرية ١٩٧٧

□ جاليري «آسيفر»، نيويورك ١٩٧٧

□ جاليري «أليف»، واشنطون

□ جاليري «فوريال»، نيويورك ١٩٨٥

– شارك في إصدار المجلة الطليعية «جاليرى ٦٨» التي لعبت دوراً بارزاً في تطور حركة الحداثة المصرية والعربية.

صدر له:

أغاني المحاريب، قصائد، الأسكندرية ١٩٤٩

«إيلوار» مع الشاعر عبد الوهاب البياني، القاهرة، ١٩٥٩

«أراجون» مع الشاعر عبد الوهاب البياني، القاهرة ١٩٥٩

«بيكاسو» القاهرة ١٩٧١

«الشعر الأمريكي الزنجى» بالإنجليزية، نيويورك ١٩٨١

□ كفافي شاعر الأسكندرية، منشورات الخازندار، أُعدّ في ١٩٧٠ وطبع في ١٩٩٠

– صمم ورسم الأغلفة ووضع الرسوم الداخلية للطبعات الأولى من دواوين شعر عبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وأحمد عب المعطى حجازي، مجموعات قصص وروايات لإدوار الخراط.

– المقتنيات:

□ متحف الفن الحديث، القاهرة

□ متحف الفنون الجميلة – الأسكندرية

□ البنك الصناعي، الكويت.

□ دار الأوبرا، القاهرة.

□ مجموعات خاصة في مصر والعالم العربي وأوروبا وأمريكا.

